لماذا أنا مسلم؟

بقلم

عبد المتعال الصعيدي

المدرس بكلية اللغة العربية من مجلس الجامع الأزهر

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ويسلم له وجهه ، فإذا قال المسلم: أسلمت وجهي لله وحده . شاركته في ذلك الكواكب في أفلاكها ، والمياه في بحورها ، والزروع في حقولها ، والأزهار في رياضها ، والطيور في تغريدها ، وكل شيء في السماوات والأرض ، من جماد ونبات ، وحيوان وإنسان :

ولله في كُلِّ تحريكة وتسكينة في الورى شاهدُ
وفي كُلِّ شيء له آية تَدلُّ على أنه الواحدُ

وهي في هذا التسبيح لله وحده لا تعرف شيئاً من خلقه، وإن علا قدره ، ولا تشرك معه أحداً من ملائكته ورسله ، بل تجهل في هذا عيسى كلمته ، وإبراهيم خليله ، وموسى كليمه، ومحمداً خاتم أنبيائه ورسله .

فإذا أشرك بعض الناس مع الله في هذا التسبيح غيره ، مثل بَرْهَمَا أو عيسى عليه السلام ، أو غيرهما من خلقه ، أبت عليه ذلك السماوات وما فيها من شموس ونجوم وأقمار ،

وأبته الأرض وما فيها من جبال راسيات ، وبحار زاخرات ، وأنهار جاريات ، ورياح مسخرات ، وأشجار مثمرات وغير مثمرات ، فكل ذلك وغيره يسبح بحمد الله وحده ، ولا يعرف فى تسبيحه أحدا غيره :

(سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِى السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ، لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ علَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٍ ، هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ، هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ، يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

المتناظران

obeikandl.com

القسّ (ر) من علماء المسيحية الذين درسوا الاسلام دراسة غير بريئة ، دراسة لا يراد منها الوصول إلى الحق ، والبحث فى الاسلام بحثاً لا يراعى صاحبه أنه قبل كل شىء مسيحى ، وإنما يراد منها تصيد كل مايشكك المسلم فى دينه ، من شُبه متكلفة ، واعتراضات بعيدة ، ولو أنهم كانوا يدرسون الاسلام للوصول إلى رأى صحيح فيه لسهل عليهم أمر تلك الشُبه ، ولما رضوا أن يتوجهوا بها إلى المسلم ليشككوه فى دينه ، فيقابلها بكل ازدراء واحتقار ، لهوان أمرها ، وحقارة شأنها .

ومحمد مختار ابن عين من أعيان القاهرة ، رباه والده فى طفولته تربية دينية ، حفظ فيها القرآن الكريم ، وعرف عقائد دينه معرفة صحيحة ، وتأدب بآدابه الحسنة ، وتخلق بأخلاقه الفاضلة ، ثم ألحقه فى العاشرة من عمره بالمدارس الابتدائية الأميرية ، فسار فيها بجد ونشاط ، حتى صار أول الناجحين فى كل سنة من إخوانه ، ولما أتم تعليمه الابتدائى ألحقه أبوه بالمدارس الثانوية الأميرية ، فسار فيها سيرته فى المدارس الابتدائية ، حتى أحبه أبوه محبة عظيمة ، وجعله موضع رعايته

وعنايته ، وكان كل سنة يأخذه معه إلى مدينة الإسكندرية، ليقضى فيها أجازته الصيفية ، ويروح عن نفسه عناء الدرس طول السنة ، فلما كان صيف سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦م بادر أبوه قبله إلى مدينة الاسكندرية، وتركه ليؤدى امتحانه ثم يلحقه اليها.

فلما أدى محمد امتحانه يمم وجهه شطر مدينة الإسكندرية ، وركب القطار الذى يقوم صباحا من القاهرة اليها ، فجاء جلوسه فى القطار إلى جانب القس (ز) ، وكان يقصد مدينة الإسكندرية فى ذلك اليوم ، لأمر يتعلق بوظيفته فى التبشير بدينه المسيحى ، وهذا القس وإخوانه المبشرون بالنصرانية قد وهبوا حياتهم للتبشير بدينهم ، فلا يتركون فرصة تسنح له إلا انتهزوها ، ولا ينسون أمره فى الإقامة والسفر ، وهم ينبثون لأجله فى المدن والقرى، وفى الدور والشوارع ، وفى الأنديه الخاصة والعامة ، لا يكلُّون ولا يملُّون، ولا يبالون بما يصادفهم فيه من مشقات وصعوبات، وإذا كانوا لا يصادفون مع هذا نجاحا فى البلاد الإسلامية، فإن هذا لا يرجع إلى تقصير منهم ، وإنما يرجع إلى قوة العقيده الإسلامية، تلك العقيدة التى لو وجدت لها مبشرين فى نشاط هؤلاء المبشرين بالمسيحية لما بقى على ظهر الأرض شخص غير مسلم ، وقد انتشر الإسلام فى ربع قرن بعد ظهوره،

حتى شمل معظم أنحاء الأرض من غير وسائل منظمة فى الدعوة اليه ، مثل تلك الوسائل المنظمة التى يلجأ اليها أولئك المبشرون المسيحيون ، فكيف يكون الحال الآن إذا وجد الاسلام مثل هذه الوسائل ، واتخذت للتبشير به مثل هذه الطرق ، وأنفق فى الدعوة اليه مثل تلك الأموال التى لاتحصى ولا تعد ؟

فما إن جلس محمد بجانب ذلك القس الداهية حتى طمع فيه ، وخدعه زيه الفرنجى ، وظن فيه أنه لا يعرف شيئاً من أمور دينه ، وقدَّر لنفسه سفراً سعيداً بجانب شاب صغير يجد المجال أمامه واسعاً للتأثير فيه ، وتشكيكه فى دينه .

فالتفت القس إلى محمد وقال له : مرحباً بالأفندى

فقال له محمد : مرحباً بك يامستر

فقال له القس : لست بمستر ، وإنما أنا القس (ز) المبشر المسيحى بالديار المصرية . ثم سأله عن اسمه

فقال له : اسمى محمد

القس : إذن أنت مسلم

محمد : نعم أنا مسلم

القس : هل تحفظ شيئاً من قرآنكم الذى أنزل على محمد نبيكم ؟

محمد : نعم أحفظه كله

فدهش القس أيما دهش ، لأنه لم يعهد فى مثل محمد فتانا أن يُعْنَى بحفظ القرآن ، ثم قال له : إنا معشر النصارى قد مدحنا فى قرآنكم إذ قال فى سورة المائدة :

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) .

محمد : نعم أيها القس ، فى هـــذا مدح للنصارى وتفضيل لهم على اليهود ، وإنما كان النصارى فى الإجمال أقرب مودة للمسلمين من اليهود، لأن النصارى يدينون بدين تجتمع فيه شعوب كثيرة ، من روم وقبط وأحباش وغيرهم ، أما اليهود فدينهم خاص بهم ، فهم يتعصبون له من الجهة الدينية ، ومن الجهة القومية ، ويعتقدون فى أنفسهم أنهم شعب الله المختار ، وينظرون إلى غيرهم من الشعوب بعين البغض والاحتقار ، ويرون أن دينهم مفخرة لهم آثرهم الله بها على غيرهم من الشعوب ، ولهذا يؤثرون العزلة عن غيرهم ، ولا يُعنَوْن بدعوة أحد إلى دينهم ، ولا يزال هذا شأنهم إلى عصرنا الحاضر ، وقد كان لذلك أثره فى انتشار الإسلام فى بلاد النصرانية ، وإقبال جمهور تلك البلاد عليه ، حتى صار الدين الغالب فيها، كما كان له أثره فى نفور اليهود من الإسلام ، وتفضيلهم أن ينفوا من بلاد العرب على أن يؤمنوا به ، ولم يسىء المسلمون إليهم بنفيهم من بلادهم ، وإنما أعادوهم إلى مواطنهم الأولى بالشـام ، وكانت محرمة عليهم من يوم أن أخرجهم الروم منها ،وأزالوا دولتهم فيها.

القس : ولـكنى أرى قرآنكم قد مدح النصارى

فى هـــذه الآيات ، ثم ذمهم فى آيات أخرى ، ومن ذلك قوله فى هذه السورة نفسها ، وقبل الآيات السابقة بآيات قليلة :

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

فكيف يمدح قرآنكم النصارى ويذمهم فى سورة واحدة ؟ وفى آيات متقاربة ، وهو يقول فى سورة النساء :

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا).

محمد : اسمع أيها القس الفاضل ، إذا كنت تريد جدالى فى دينى ، فإن الجدال فيه بهذا الشكل الذى تريده لا يفيد ،

لانه جدال لايراد منه إلا إثارة الشك فى الدين ، ولا يراد منه الوصول إلى الحق فيه ، والواجب فى الجدال أن يكون الغرض منه الوصول إلى الحق ، لا إثارة الشك فى النفس

القس : وكيف يكون الجدال فى الدين لغرض الوصول إلى الحق ؟

محمد : يكون الجدال فى الدين لغرض الوصول إلى الحق فى شأنه بالبحث أولا فى أصوله المتفق عليها بين أهله ، فإذا بحثت هذه الأصول وعرفت صحتها أو فسادها سهل أمر ماعداها من الفروع ، لأنه إذا كانت الأصول فاسدة لم يكن هناك حاجة إلى البحث فى فروعها ، إذ لا يمكن أن تصح الفروع مع فساد الأصول ، وإذا كانت الأصول صحيحة أمكن بحث فروعها بعد ذلك ، وقد زال من النفس تعصبها ، وسهل أمر الشبه التى تحدث فيها ، وكل أمر وبو كان حقاً لايخلو من اشتباه بعض العقول فيه ، ولا يمكن أن يؤثر هذا الاشتباه فى صحته ، ولكنكم أيها المبشرون المسيحيون لاتحبون أن تأتوا البيوت من أبوابها ، وإنما تحبون أن تتصيدوا أمثال تلك الشبهة الواهية فى توهم الخلاف بين تلك الآيات ، ولا تكلفون أنفسكم البحث فى أصول الإسلام

لمعرفة حقيقته ، ولو أنكم سلكتم هذا الطريق لعرفتم أن هذا الدين أحق بنصركم وتأييدكم له ، ولا تقيتم الله فى هذه الجهود التى تبذلونها فى محاربته .

ثم قال له محمد : أما تلك الآيات فلا خلاف بينها ، لأن القرآن الكريم حينما ذكر أن النصارى أقرب مودة للمسلمين من اليهود والمشركين لم يكن يتكلم فى هذا عن عقائدهم ، وإنما أراد أن يبين شأنا من الشئون التى يرجع التأثير فيها إلى الطبائع لا إلى العقائد . وهو مع هذا إنما يريد اليهود فى الإجمال ، كما يريد النصارى فى الإجمال ، وقد يكون من اليهود من هو أقرب مودة للمسلمين من بعض النصارى ، كما يكون من النصارى من هو أشد عداوة للمسلمين من بعض اليهود ، وأما القسيسون والرهبان الذين مدحوا فى هذه الآيات فهم قسيسون ورهبان أسلموا وآمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فمدحوا كما تنطق هذه الآيات على إسلامهم الجديد ، لا على نصرانيتهم القديمة .

القس : إنك أيها الفتى تجادل عن دينك بحكمة ، ولا يحملك تعصبك له على الخروج عن حد الإنصاف ، وأنت بهذا تخدمه أكثر ممن يغالى فى التعصب له إذا جودل

فى شىء منه ، فيشتم ويحتد فى جداله ، ولا يطيق أن يسمع نقاشا فى دينه ، حتى لكأنه يريدأن يفرضه على الناس فرضاً ، ولا يريد أن يقنعهم به إقناعا

محمد : إن قرآننا الكريم قد علمنا أدب الجدال فى الدين ، وأمرنا أن نأخذ من يجادلنا فيه باللين ، ونعامله بالحسنى ، فقال فى سورة العنكبوت :

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

ثم قال له : لعلك أيها القس الفاضل توافقنى على أن البحث فى أصول الأديان هو طريق الوصول إلى الحق فيها ، وأن طريقتكم فى تصيد الشُّبه هنا وهناك لاتوصل إلى حق ، ولا تهدى إلى صواب ، وإنما هى طريقة مضللة ، لايراد منها إلاوضع الأشواك فى طريق الوصول الى الحق ، وتعميته على الناس بإثارة الشبه حوله .

القس : ياحمد ، إنه لا يسعنى بعد هذا إلا موافقتك

على ماذكرت ، ولكنى أراكم قد ضيعتم أكثر فروع دينكم ، وتركتم العمل بها فى أمور دنياكم إلى تلك القوانين الوضعية ، ومع هذا أراكم تصرون على أصول إسلامكم إصرارا عظيما ، وتتعصبون لها تعصباً عجيباً

فقل لى ياحمد : لماذا أنت مسلم ؟ وقد هان عليكم أمر الإسلام هذا الهوان ، وتساهلتم فى العمل بفروعه هذا التساهل .

محمد : نعم أيهـــا القس الفاضل ، سأبين لك : لماذا أنا مسلم ؟ ولماذا نصر على إسلامنا بعد أن فرطنا فى العمل بفروعه هذا التفريط ؟ وأبين لك قوة الأصول الإسلامية التى تجعل المسلمين يصرون عليها هذا الإصرار العجيب ، مع تفريطهم فى العمل بفروعها ، وتساهلهم فى أمر هذه الفروع ذلك التساهل

وكان القطار قد وصل مدينة الإسكندرية ، فاتفقا على أن يقوما بمناظرات فى ذلك ، يدعى إليها الناس فى دار المبشرين المسيحيين بمدينة الإسكندرية .

ثم نزلا من القطار وودع كل منهما صاحبه ، بعد أن اتفقا على الزمان والمكان الذى تقام فيه المناظرات ، وقصد محمد إلى الترام الذى يوصله إلى مصيف أبيه برمل الإسكندرية ،

فنا وصل إليه سأله عما فعل في امتحانه ، فأخبره بأنه أجاب عن أسئلته أحسن إجابة ، فسر أبوه سروراً عظيماً ، ودعا له بالنجاح والفلاح ، ثم أخبره بما جرى له في القطار من ذلك النفر ، فزاد مسروراً به ، وشجعه على القيام بذلك المناظرات ، ليكون من المجاهدين في سبيل الله تعالى ، وبذا يرضا الله في الدنيا والآخرة .

المناظرة الأولى

قضى محمد مع أبيه اياما يتمتع بهواء رمل الإسكندرية العليل، ويقصد فى أصيل كل يوم إلى البحر، فيمشى على ساحله مأخوذاً بذلك الجمال الساحر، وتلك الطبيعة الفاتنة التى حبا الله بها تلك المدينة.

ثم جاءته قبل الميعاد المتفق عليه بيوم دعوة من دار المبشرين المسيحيين بمدينة الإسكندرية، فلما جاء الميعاد ذهب إلى تلك الدار ومعه أبوه وإخوته وبعض أقاربه، وكثير من مسلمى مدينة الإسكندرية، فوجدوا فى تلك الدار حجرة واسعة أعدت لمثل هذه المناظرة، ووجدوا فيها كراسى مصفوفة، فأخذوا أماكنهم منها، وقابل محمد القس (ز) فسلم عليه، وأخذ كل منهما يحدث صاحبه عما جرى له بعد أن فارقه

ولما جاء الوقت المحدد لبدء المناظرة صعد محمد والقس إلى

المكان المعد لها ، فاتجهت اليهما الأنظار ، واشرأبت اليهما الأعناق ، وكانت الحجرة قد ازدحمت بمن فيها ، لأن خبر هذه المناظرة كان قد انتشر فى هذه المدينة، فجاء كثير من أهلها لسماعها .

فقال محمد : سألتنى أيها القس الفاضل: لماذا أنا مسلم ؟ مع أنا تهاونا فى ديننا ذلك التهاون ، وعجبت لإصرارنا على أصول الاسلام بعد تساهلنا فى فروعه ، وقلت لك :إن هذا يرجع الى قوة هذه الأصول ، وقوتها ترجع إلى ملاءمتها للفطرة الإنسانية بحيث لا يمكنها النزوع عنها ، فالآن أبين لك أصول الاسلام التى تضمن له الخلود إلى ما شاء الله ، وتكفل له الظهور والقوة ولو أصاب أهله من الضعف أضعاف ما يصيبهم الآن ، فهم يعتزون فى ضعفهم بقوة دينهم، ويرجون عليه من الله فى الآخرة ما لا يرجوه غيرهم ، وأما هذه الدنيا فدُوَل ، يوم لهم ويوم عليهم ، وما يصيبهم ضعف فيها إلا ومنشؤه عدم عملهم بهذا الدين ، فالذنب فى ذلك عليهم لا عليه.

وهذه الأصول تنقسم إلى قسمين : أصول اعتقادية وأصول تشريعية ، والأصول الاعتقادية فى الاسلام ترجع إلى أصلين عظيمين هما أساس كل الأصول الاعتقادية فيه :

الأصل الأول ــ التوحيد

فالله تعالى فى نظر الاسلام واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له فيها ، ولا ولد ولا والد ، ولا واسطة بينه وبين عباده من أحبار وكهان ، وقسيسين ورهبان ، وهذا هو التوحيد الخالص الذى يرفع من شأن كل مسلم ، ولا يجعل فى الاسلام هيئات كهنوتية تتحكم فى عقائد المسلمين ، كتلك الهيئات الكهنوتية التى توجد فى اليهودية والنصرانية ؛ ويقدسها أهل الديانتين تقديسهم لله تعالى ، وقد غالى كل من اليهود والنصارى فى تقديس أنبيائهم ورؤساء دينهم ، حتى ذهب جمهور النصارى إلى أن المسيح ابن الله ، وإلى أن الله ثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس) وذهبت طائفة من اليهود إلى أن عُزَيرا ابن الله ، ولكن جمهورهم لم يقع فى هذا الشرك الذى وقع فيه جمهور النصارى ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا كله فى سورة التوبة :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

وقد ثبت الآن بعد تقدم دراسة علم الأديان أن هذه العقائد لم تدخل هاتين الديانتين السماويتين إلا من العقائد الوثنية القديمة فى بلاد الهند والروم ومصر [١] ؛ وهذا هو ما صرح به القرآن الكريم منذ ثلاثة عشر قرنا ، وهو من أكبر الدلائل على أنه من عند الله تعالى ، وليس من عند هذا النبى الأمى الذى لم يدرس أديان البشر ، وكانت معارف أمته لا تصل به إلى مثل هذا القول (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل).

وإن المسلم ليقف بهذه العقيدة الخالصة فى التوحيد عزيز الجانب ، مرفوع الرأس ، ناهض الحجة ، مع الملحد الذى لا يقر بوجود إله ، ومع الوثنى الذى يعبد الأصنام والأوثان ،

---

(١) أنظر كتابنا العقائد الوثنية فى الديانة المسيحية .

ومع الكتابى الذى تأثر فى عقيدته السماوية ببعض العقائد الوثنية.

فإذا وقف المسلم مع الملحد أفحمه بهذا الكون العجيب، وبما فيه من هذا النظام المحكم، لأن هذا لا يمكن أن ينشأ عن المصادفة العمياء كما يزعم الملحدون، فإذا لم يكف هذا فى إفحامه أفحمه بأن اعتقاده بوجود إله ينفعه إذا صح اعتقاده، ولا يضره على تقدير خطئه فيه، أما الملحد فإن عدم اعتقاده بوجود إله يضره إذا لم يصح اعتقاده، ويعرضه لغضبه وحرمانه من ثوابه، فيكون الاعتقاد بوجود إله أسلم لصاحبه، وأحمد عاقبة له، فيجب إيثاره على غيره.

أما النصرانى فإنه إذا وقف مع الملحد لم يمكنه أن يقنعه بعقيدة التثليث، ولا بأن المسيح ابن الله، لأنه كان من البشر يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، وقد ولد من أمه وخرج من رحمها مثلهم، وهذه العقيدة عند النصارى فوق متناول العقول، لما فيها من هذا التناقض، فلا تؤخذ عندهم بالإقناع والدليل، وإنما تؤخذ بالخضوع والتسليم، ومثل هذا لا ينفع عند الملحد بشىء، لأنه لا يؤمن إلا بالعقل، ولا يخضع إلا للدليل.

وإذا وقف المسلم مع النصرانى الذى يقول بالتثليث أفحمه

بالتحاكم إلى شرائع الله القديمة ، وما أنزل فيها على أنبيائه من آدم أبى البشر ، إلى عيسى عليه السلام ، وهذه التوراة التى بأيدى اليهود لا يأبى المسلم أن يتحاكم مع النصرانى فى هذا اليها ، ولا يمكن النصرانى أن يفر من حكمها ، لأنه يؤمن بها كما يؤمن بإنجيله.

القس : وكيف يرضى المسلم بالتحاكم إلى التوراة وهو يعتقد أنها محرفة ؟

محمد : إذا كان المسلم يعتقد أن التوراة قد حرفت ، فإنه ليس معنى هذا أن كل شىء فيها محرف ،فإن عقيدة التوحيد لا تزال سليمة فيها ، وكذلك أمور كثيرة غيرها ،والاسلام لا يمنع من الرجوع إلى أهل الكتاب فيما يفيد فيه الرجوع اليهم ، وقد ورد فى هذا آيات كثيرة من القرآن الكريم ، ومنها قوله تعالى فى سورة يونس:

(فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)

فنحن إذن نرضى أن نتحاكم نحن والنصارى إلى اليهود فى عقيدة التوحيد ، واليهود أقدم أهل الديانات السماوية الباقية « اليهودية والنصرانية والإسلام » ولا شك أنا إذا تحاكمنا اليهم فى ذلك كان حكمهم لنا على النصارى ، لأنهم يتفقون معنا فى عقيدة التوحيد ، وينكرون البنوّة والتثليث

القس : إن اليهود إذا كانوا ينكرون عقيدة التثليث فهم يقولون بالبنوة ، وقد ذكر قرآنكم فيما سبق أنهم يقولون عن عزير إنه ابن الله ، ومن يقول بالبنوة يلزمه أن يقول بالتثليث.

محمد : إن جمهور اليهود لا يقولون إن عزيرا ابن الله ، وإنما كان يقول بهذا طائفة مجهولة منكورة ، قد ذكر اسمها ابن حزم فى كتابه فى الملل والنحل ، ولم يخل دين من وجود طائفة شاذة فيه ، وقد وجد فى الإسلام من يعتقد فى على بن أبى طالب رضى الله عنه مثل اعتقاد تلك الطائفة اليهودية فى عزير ، ومثل اعتقاد النصارى فى المسيح ، ولا يصح أن يؤخذ فى دين من الأديان باعتقاد هذه الطوائف الشاذة ، وإنما يؤخذ فيه بما عليه جمهور أهله ، على أنه يجوز أن يكون اعتقاد تلك الطائفة فى بنوّة عزير لله مثل اعتقاد سائر اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه ،

كما حكى الله هذا عنهم وعن النصارى فى سورة المائدة :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ).

فهى بنوة محبة ، وليست بنوة حقيقية تقتضى فى الابن صفة الألوهية.

القس: إذن يامحمد تكون عقيدتكم فى التوحيد مثل عقيدة اليهود ، فأى فضل لكم عليهم فيها ؟ وأى معنى لدينكم مع دينهم إذا كنتم تتفقون فى ذلك معهم ؟

محمد : نحن إذا اتفقنا مع اليهود فى هـــذا الأصل فإنا نخالفهم فى أصول أخرى ، ولا نتفق معهم فى فروع كثيرة ، ومن ذلك أنهم يكذبون نبيكم عيسى عليه السلام ، ويعتقدون فيه اعتقادات شنيعة ، وكذلك يعتقدون فى أمه مريم عليها السلام ،ونحن نصدقه ، ونؤمن برسالته ، وننزهه عن تلك الاعتقادات الشنيعة ، وننزه أمه مريم عنها ، ونكفر اليهود بها ، وأنتم لاتحفظون لنا هذا الجميل . وتكافئوننا عليه

بمحاربة ديننا ، حتى إنه لينال من حربكم مالا تناله تلك اليهودية منكم .

وهنا كان الحاضرون قد طالت عليهم هذه المناظرة ، فطلبوا من المتناظرين أن يكتفيا هذا اليوم بهذا القدر من المناظرة ، ثم يعودا اليها غداً ، فى الوقت الذى بدئت فيه هذه المناظرة .

فأجابهم المتناظران إلى ماطلبوا ، وانصرفوا جميعا على أن يعودوا إلى المناظرة الثانية غداً

المناظرة الثانية

جاء ميعاد المناظرة الثانية ، وذهب محمد وأصحابه إلى دار المبشرين ، فوجدوا الحجرة قد ازدحمت بالجالسين فيها ، وكلهم يرتقب حضوره لسماع هذه المناظرة الخطيرة ، وقد أخذهم فى الأمس بهدوئه وحسن تفكيره ، وسحرهم بأدبه وقوة منطقه ، ثم صعد هو والقس إلى المكان المعد لهما ، وكانا قد انتهيا فى المناظرة الأولى من الكلام على الأصل الأول من أصول الإسلام ، فأخذا يتناظران فى الأصل الثانى منها .

الأصل الثانى — التصديق بجميع الرسل

وقد ابتدأ محمد المناظرة بالكلام على هذا الأصل الثانى من أصول الإسلام ، وهو التصديق بجميع الرسل .

محمد : إن هذا الأصل يدخل فيه التصديق بجميع ما جاء

الرسل به من الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة واليوم الآخر ، وغير هذا من أصول الإيمان وفروعه ، وقد أنصف الاسلام فى هذا سائر الأمم ، وجاء فى القرآن الكريم أن الله لم يترك أمة إلا وأرسل اليها رسولا منها ، فقال فى سورة فاطر :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) .

أما اليهودية والنصرانية فلا تنصفان هذه الأمم ، وتريان أن وظيفة الرسالة كانت وقفا على بنى إسرائيل ، وكان لهذا أثره فى سماحة الاسلام ، وحسن معاملته لهذه الشعوب ، كما كان له أثره فى سوء معاملة اليهودية والنصرانية للشعوب المخالفة لها ، لأنهما لا تريان الشعوب سواء عند الله تعالى كما يراها الاسلام ، وقد جاء هذا فى قوله تعالى من سورة الحُجُرات :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

القس : إن الاسلام يوافق اليهودية والنصرانية فى تفضيل شعب بنى إسرائيل على سائر الشعوب ، وقد ورد هذا فى قرآنكم فى سورة آل عمران :

(إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

محمد : إن القرآن لا يعنى من هذا إلا تفضيل الأنبياء والرسل من ذرية آدم ونوح وإبراهيم وعمران على غيرهم ، ولا يعنى منه تفضيل شعب على شعب ، لأن الشعوب لا تتفاضل فى الاسلام إلا بالتقوى والعمل ، وقد فضل الله المسلمين على غيرهم فلم يفضلهم لأمر يرجع إلى مزايا جنسية أو بشرية ، وإنما فضلهم على غيرهم من تلك الجهة التى جعلها مقياس التفاضل بين الشعوب : فقال فى سورة آل عمران :

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ).

ثم قال : إن الناس يتجادلهم الآن ثلاثة أديان سماوية (الاسلام والمسيحية واليهودية) والخصومات والحروب القائمة الآن بينهم ترجع فى الحقيقة إلى هذا التنازع ، ولو أنه حصل بينهم اتفاق على دين من هذه الأديان لبطلت فيه تلك الخصومات والحروب ، ولا شك أن الاسلام أصلح هذه الأديان لتحقيق هذه الغاية التى يسعى اليها أنصار السلام فى عصرنا ، وقد سبقهم إلى الدعوة إلى هذه الغاية فى قوله تعالى من سورة البقرة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)

وإنما كان الاسلام أصلح هذه الأديان لتحقيق هذه الغاية ، لأنه ينظر إلى الشعوب البشرية تلك النظرة السابقة ، ويؤمن موسى عليه السلام وهو رسول اليهودية ، ويؤمن بعيسى عليه السلام وهو رسول النصرانية ، ويؤمن بغيرهما من رسلهم ، فإذا دخل فيه اليهود والنصارى وجدوه يلتقى معهم التصديق برسلهم ، ويقابلهم فى نصف الطريق كما يقولون .

أما اليهودية فيدين أهلها بتكذيب عيسى ومحمد عليهما السلام ، فلا يمكن أن يدخل النصارى والمسلمون مع هذا فى ملتهم ، لبعد مسافة الخلف فى هذا بينها وبينهم .

وأما النصارى فيدينون بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن أن يدخل المسلمون مع هذا فى دينهم .

وقد غلا اليهود والنصارى فى شأن عيسى عليه السلام ، فقال اليهود إنه ابن زنا ، وقال النصارى إنه ابن الله تعالى ، أما المسلمون فيقولون إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام ، وهو عبد الله كسائر عباده ، ورسول له كسائر رسله ، وولادته من غير أب كخلق آدم عليه السلام من تراب ، كما قال تعالى فى سورة آل عمران :

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) .

ولا شك أن مايقوله المسلمون فى شأن عيسى هو مايمكن أن تجتمع عليه كلمة الأديان الثلاثة ، لأنه وسط بين غلو اليهود فى التعصب عليه ، وغلو النصارى فى التعصب له .

وقد ذكر بعض المبشرين المسيحيين فى رسالة صغيرة أن بنوة المسيح لله بنوة محبة ، وهذه البنوة لاينازع فيها الإسلام ،

ولا ينكر أن يكون المسيح ابن الله بمعنى حبيبه ، وقد جاء فى القرآن الكريم كثير من هذه الألفاظ المتشابهة ،فأوّلها المسلمون بسهولة على مايوافق فى العقل كمال الله تعالى ، مثل قوله تعالى فى سورة طه (الرَّحْمانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى).

فإذا وافق النصارى على ذلك التأويل فى بنوة المسيح لله دخلت المسألة فى طور جديد ، وأمكن الاتفاق بيننا وبينهم فيها.

القس : هل إذا قلنا أيها الفتى بهذا التأويل فى بنوة المسيح لله ، وذهبنا إلى أنها بنوة محبة ، تدخلون معنا فى دين النصرانية ؟

محمد : بل يجب عليكم أيها القس الفاضل إذا ذهبتم إلى هذا التأويل فى بنوة المسيح لله أن تدخلوا أنتم فى دين الإسلام ، لأنه يكون رجوعاً منكم إلى ما ذهب إليه الإسلام فى شأنه قبل هذا التأويل الجديد ، ولأنه إذا كان المسيح ليس إلا حبيب الله ، فإنه يكون مثل إبراهيم خليل الله ،ومثل موسى كليم الله ، وتبطل بذلك عقيدة التثليث (الأب والابن وروح القدس) إذ لا يكون هناك فى الحقيقة أب ولا ابن ، وعقيدة التثليث هى أهم عقائد النصرانية ، فإذا

بطلت لم يبق من عقائدها ما يستحق أن يكون دينا متميزا عن غيره من الأديان .

ثم إن الإسلام لا يكلف اليهود والنصارى بعد الاعتراف بالله الذى يعترفون به إلا أن يعترفوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يكلفهم بذلك شططاً ، ولا يطلب منهم شيئاً تأباه عقولهم ، أو يضرهم فى أخراهم ، وإنه ليكفى فى إثبات رسالته سيرته الصالحة ، بقطع النظر عن المعجزات التى أيد بها كما أيد غيره من الرسل ، ولو أنصف اليهود والنصارى لآمنوا بمحمد نبى المسلمين ، كما يؤمن المسلمون بموسى نبى اليهود ، وبعيسى نبى النصارى ، ولو أنهم فعلوا هذا لتغير شكل العالم فى لحظة واحدة ، وصار الناس فيه إخواناً يسود بينهم السلام والوئام ، وتبطل بينهم الحروب والخصومات.

ولا شك أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لاتفاق الشعوب ، لأنه لا يمكن أن يكون بينهم اتفاق صادق مع اختلافهم فى الديانات ، ومع اعتقاد أهل كل دين أنهم هم الناجون فى الآخرة ، وأن غيرهم لا نجاة لهم من عذابها ، فإذا اجتمعوا فى دين واحد زالت هذه العقبة التى تحول دون اتفاقهم .

القس: قد نذهب يا محمد الى ذلك التأويل فى نبوة المسيح ، ولكنكم تنكرون صلب اليهود له ، وهو أمر قد ثبت عندنا بالتواتر ، وليس الصلب مسألة دينية لا غير ، وإنما هو مسألة دينية وتاريخية ، وقد ذكرت حادثة الصلب فى كتب المؤرخين المعاصرين لها ، وعقيدة الصلب من العقائد المهمة فى النصرانية .

محمد : إنكم تحاولون من صلب المسيح عقيدة دينية ، وتقولون إنه قدم نفسه الى الصلب ليفدى البشر من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ، وهى الخطيئة التى أخرج بها من الجنة ، ولا شك أن ماحصل من آدم عليه السلام لايستحق كل هذا الاهتمام منكم ، وأنه اذا أخطأ آدم فإن أبناءه لا يصح أن يكونوا مخطئين بخطيئته ، إذ لاتزر وازرة وزر أخرى ، ولا علاقة لصلب المسيح بهذه الخطيئة حتى يكون فداء لها ، والنصارى يعرفون مثل هذا فى عقيدة الصلب ، وهى عندهم مثل عقيدة التثليث تؤخذ بالتسليم ، لأنها من مسائل الإيمان الذى لايفيد فيه نظر العقل ، ومثل هذا لايرضى به الناس فى عصرنا الحاضر .

وهذه قيمة عقيدة الصلب من الجهة الدينية فى نظر الإسلام ، وأما قيمتها من الجهة التاريخية فإن الإسلام لا ينكر أن صلبا وقع ، وإنما ينكر أن الذى صلب هو المسيح عليه السلام ، ويذهب الى أن الذى صلب شخص آخر ألقى عليه شبهه ، وهو يهوذا الأسخريوطى الذى دلهم عليه ، وقد ثبت موته فى الليلة التى يقال إن المسيح صلب فيها ، فلم يكن المصلوب فيها إلا يهوذا بعد أن ألقى عليه شبهه ، فصلبوه وهم يعتقدون أنهم صلبوا المسيح نفسه ، وقد تم هذا بمعجزة من المعجزات الإلهية التى يوجد فيها ما هو أعظم من هذه المعجزة ، وقد أخبر بهذا رسول من رسل الله تعالى ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسل الله أدرى بهذه الشؤون منا ، واذا أخبروا بشىء من أمر الغيب فإنه ليس لأحد أن يجادل فيه ، أو يقول إنه وقع أو لم يقع ، والله تعالى هو الذى ألقى شبه المسيح على يهوذا دون أن يطلع أحدا عليه ، فكيف يتأتى لغير رسول من رسله أن يجزم بشىء فيه ؟

ويمكننا أن نقول بعد هذا إن صلب المسيح ليس إلا مسألة من مسائل التاريخ ، وأن نقول إن التاريخ لا يهمه منها إلا أن يثبت أن صلبا وقع فى هذه الليلة ، ولا يعنيه بعد هذا

أن يكون المصلوب فيها هو المسيح عليه السلام ، أو شخصاً آخر ألقى عليه شبهه ، لأن هذا أمر يخرج عن موضوع بحثه .

وهنا شاهد محمد من المستمعين ميلا الى الوقوف فى هذا اليوم عند هذا الحد من المناظرة ، فأعلن انتهاء هذه الجلسة ، على أن يعودوا غدا فى مثل موعدهم الى سماع المناظرة الثالثة .

المناظرة الثالثة

عاد محمد فى الغد إلى دار المبشرين المسيحيين ، ومعه أبوه وإخوته ، وجميع أصدقائه ، فقصد إلى حجرة المناظرة ، وأخذ مكانه فيها مع القس (ز) ثم أخذا يتناظران فى الأصل الثالث من أصول الإسلام .

الأصل الثالث ـ جلب المصلحة ودفع المفسدة

محمد : إن الأصلين السابقين هما الأصلان الاعتقاديان فى الاسلام ، وعليهما تقوم سائر الأصول الاعتقادية ، أما أصوله التشريعية فإنها ترجع إلى أصـــل واحد يقوم عليه سائرها ، وهو جلب المصلحة ودفع المفسدة ، وهو أصل جليل لايمكن أن يجادل فيه أحد من الخلق ، وللإنسان مصلحة دنيوية ومصلحة أخروية ، كما أن له مصلحة خاصة ، ومصلحة عامة ، وقد راعى الاسلام كلّ هذه المصالح ، وأعطى

كل مصلحة حظها من العناية ، ومن النصوص الإسلامية الواردة فى هذا الأصل قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) وقوله تعالى فى سورة القصص :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .

ومنها فى ذم من يؤثر مصلحته الخاصة على المصلحة العامة قوله تعالى فى سورة التوبة

(ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ، ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

القس : إن الإسلام لا فضل له فى هذا على سائر الأديان ، لأنها جميعاً إنما شرعت لجلب المصالح ودفع المفاسد .

محمد : كلا ، إن اليهودية والنصرانية ليستا مثل الاسلام فى مراعاة ذلك من غير فرق بين الشعوب البشرية ، وهذا لأن دين الاسلام عامٌّ لكل الشعوب ، فلم يراع فيه مصلحة خاصة لشعب منها ، أما اليهودية فإنها كانت خاصة ببنى إسرائيل ، فروعيت فيها مصلحتهم وحدها ، وقد أورث هذا فى اليهود حب الذات ، وإيثار مصلحتهم المادية على مصلحة غيرهم ، فاتحدت عندهم مصلحتهم الدينية ومصلحتهم القومية ، وصاروا إلى حب المادة وشهواتها أقرب منهم إلى حب الروح وفضائلها ، لأن حب الروح وفضائلها نزعة إنسانية عامة لا تتفق مع نشأتهم فى عزلتهم ، ونظرهم إلى أنفسهم دون غيرهم .

وقد جاءت النصرانية فقابلت إفراط اليهود فى النظر إلى المادة الدنيوية ، بإفراطها فى النظر إلى الروح وتخليصها من علائق هذه المادة ، فكانت الرهبانية هى المثل الأعلى فيها . والمطلب الأسمى لأهلها ، وقد بذلت فى هذه الغاية كل عنايتها ، ولم تُعْنَ بالتشريع الدنيوى عناية تذكرها ، وإنما اعتمدت فيه على تشريع التوراة قبلها ، وهو تشريع خاص باليهود كما

سبق ، وليس بعامٍّ لجميع البشر ، فالاسلام وحده هو الذى سلك سبيل الاعتدال فى مراعاة تلك المصالح ، ولم يغلب مصلحه منها على أخرى .

وكذلك جاءت النصرانية بشريعة المحبة ، وكان هذا فى مقابلة العداوة التى يضمرها اليهود لغيرهم من الشعوب ، ولكن هذا وذاك لايجعلان من النصرانية إلا شريعة أخلاق ، ولا يلحقانها بالاسلام الذى هو دين تشريع وأخلاق معاً .

وكانت هذه المناظرة فى يوم أحد ، فلم يشأ أصحاب الدار أن يطيلوها إلى أكثر من هذا الزمن ، فانتهت عند هذا الحد ، وأجل الاجتماع إلى المناظرة الرابعة فى ميعادها من يوم الاثنين .

المناظرة الرابعة

عقدت هذه المناظرة فى ميعادها ، وجلس محمد والقس (ز) فى المكان المعد لهما ، ثم أخذا يتناظران فى الأصل الرابع والخامس من أصول الإسلام .

الأصل الرابع ـ مراعاة الزمان والمكان

محمد : إن الإسلام بعد أن قام تشريعه على أساس جلب المصلحة ودفع المفسدة ضم إلى هذا أصلين آخرين يتصلان به ، ويمكن أن يعدا من فروعه ، ولكنهما مع هذا أصلان عظيمان من أصول الاسلام ، فإذا أضيفا إلى الأصول السابقة كانا هما الأصل الرابع والخامس من الأصول الإسلامية.

والأصل الرابع منهـــا هو مراعاة الزمان والمكان ، ووجه العلاقة بينه وبين الأصل الثالث أن المصلحة تختلف باختلاف الزمان والمكان ، والاسلام لم يشرع لشعب خاص

أو زمن خاص حتى يراعى فيه مصلحتهما المكانية أو الزمانية، وإنما شرع لجميع الشعوب ولجميع الأزمان ، فلا بد أن يراعى فيه هذا الأصل، لتتحقق المصلحة المقصودة فى جميع الأزمنة والأمكنة.

وكل من اليهودية والنصرانية ينكر هذا الأصل الذى جاء به الاسلام ، لأنه يؤدى إلى النسخ الذى تنكره اليهودية والنصرانية فى التشريع الإلهى ، وقد عابا هذا النسخ الذى عمل به فى الاسلام ، وتدرج به فى تشريعه حتى يأتى كل حكم من أحكامه فى الزمان والمكان الملائمين له ، ولما عاب اليهود والنصارى هذا النسخ على الاسلام قال الله تعالى فى شأنه من سورة البقرة :

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وقد انبنى على ذلك الأصل فى الاسلام فتح باب الاجتهاد فيه إلى ما شاء الله تعالى ، فلم يغلق باب الاجتهاد فى الدين بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، بل بقى مفتوحا لعلماء المسلمين، ليصلوا باجتهادهم الى ما يلائم حالهم فى كل زمان ومكان ،

ولا يضيق الأمر بهم كما ضاق باليهود والنصارى من قبلهم.

وبهذا كسب التشريع الإسلامي ما فيه من سهولة ومرونة، ولم يضق بكل تجديد نافع يعود منه خير على أهله. أما اليهودية والنصرانية فقد خانتا بعدم مراعاة هذا الأصل من كل سهولة ومرونة، وضاقتا بكل تجديد نافع، لأنهما يريان نسخا وتبديلا في أحكام الله تعالى. حتى صارتا إصرا وأغلالا على أهلهما، ولم يعودا صالحين للعمل معا، وإلى هذا يشير قوله تعالى في سورة الأعراف:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

وكان على اليهود والنصارى أن يرحبوا بهذا الدين الذي ينقذهم من هذا الجمود الديني، ويرفع عنهم ذلك الإصر وتلك

الأغلال ، ولكنهم لم يقدروا نعمة الاسلام بهذا عليهم ، وأخذوا يشاغبون فى النسخ وجوازه على الله تعالى، ويزعمون أن النسخ يؤدى الى نسبة الجهل اليه وهو يتنزه عنه ، ولا يخفى أنه لا جهل فى هذا ولا شيء ، وانما أمرهم فى هذا كما قال بعض الشعراء :

يقضى على المـــرء فى أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

الأصل الخامس ـ التوسط بين الافراط والتفريط

محمد : وهذا الأصل الخامس من الأصول الإسلامية يراعى فيه أصل المصلحة أيضاً ، لأن الطريقة الوسطى تلتقى فيها دائما مصالح الناس على اختلاف طبائعهم وأحوالهم ، وقد مدح فى الاسلام التوسط فى كل الأمور ، وجعل الله المسلمين أمة وسطا بين سائر الأمم ، فقال تعالى فى سورة البقرة:

(وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً . الآية) .

فراعى الاسلام فى أحكامه مطالب الروح والجسد ، وحقوق الدنيا وحقوق الآخرة ، وراعى فيما وضعه لتهذيب النفوس اعتدال القوة الفكرية ، والقوة الشهوية ، والقوة الغضبية ، وهذا هو أصل الحكمة العملية ، فالاعتدال مطلوب عنده فى كل شىء حتى فيما سنَّه من التعبد ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا اجتهد فى العبادة حتى غارت عيناه ، فقال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ؛ إن المنبتَّ لا أرضا قطع ، ولا ظهراً أبقى.

والإفراط والتفريط مذمومان عنده فى كل شىء كما هما فى الحكمة العملية ، وقد أباح من أجل هذا للمسلم أن يأخذ حظه من الدنيا وزينتها ، بشرط ألاَّ يصلَ به هذا إلى حد الإفراط ، فقال تعالى فى سورة الأعراف :

(يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

والإسلام فى هذا يخالف اليهودية التى يغالى أهلها فى حب المادة ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة.

ثم أباح مع هذا المسلم الزهد فى الدنيا وزينتها بشرط ألاَّ يصلَ به الزهد إلى حد التفريط ، وهو فى هذا يخالف المسيحية التى تطلب الزهد فى الدنيا إلى حد الرهبانية ، والانقطاع فى دير أو صومعة عن الدنيا . وقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يعرض عليه أن يجبَّ نفسه ليقطع شهوته فى النساء ، فقال له عليه الصلاة والسلام : لا رهبانية فى الاسلام — لأن الرهبانية لا تلائم فطرة الإنسان ، ولا يتم معها نظام العمران ، وقد جاءت المدنية الحاضرة فحاربت هذه الرهبانية ، ووافق نظرها إليها نظر الاســـلام اليها من قبلها .

وكذلك سن الاسلام فى المـال سنة الاعتدال ، فحرم الإفراط فى الحرص عليه إلى حد البخل ، فخالف بهذا اليهودية التى تفرط فى الحرص على المال إلى الحد الممقوت ، حتى أبيح فيها الربا إذا كان المأخوذ منه غير يهودى ، وكذلك حرم التفريط فى المال إلى حد التبذير ، وقد قال تعالى فى ذم المبذرين من سورة الإسراء :

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً).

ثم طلب التوسط بين الحرص والتبذير فقال بعد هذا من هذه السورة:

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً).

وقد جعل لهذا سبيله بما سنّ فى الإسلام من الإنفاق فى طرق الخير، وبما شرع فيه من فرض الزكاة فى المال، لأن الذى يسلك فى ماله هذا السبيل ينجو به من طرفى الإفراط والتفريط، فلا يبخل ولا يبذر، لأن التبذير لا يكون فى هذه الوجوه المحمودة، وإنما يكون فى شهوات النفس من الدنيا.

وقد شرع الإسلام فى المرأة شرعاً وسطاً، فلم يجحف بها كما أجحفت بها بعض الشرائع، ولم يساوها بالرجل فى كل شىء كما فعل هذا بعض آخر منها، بل ساواها بالرجل فيما لم تفضله فيه طبيعته على طبيعتها، وهو الأغلب فى أمره وأمرها، وميزه عليها فى أمور قليلة قضت بها سُنَّة الفطرة، وحاجة الاجتماع، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى فى سورة البقرة:

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

وقوله تعالى فى سورة النساء :

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . الآية).

وكانت شريعة اليهود وبعض الشرائع القديمة تحرم المرأة من الميراث ، وتجعله حقاً خالصاً للرجل ، وكانت بعض الشرائع تسوى فيه بينها وبين الرجل ، وهو أمر تأباه طبيعة الاجتماع ، وما يكلف به الرجل من أمور أكثر من المرأة ، وما يميل إليه المورث دائما من تفضيل أبنائه على بناته ، وقد يصل به هذا الميل إلى حد أن يحرمهن من ميراثه ، فلم يكن للإسلام بد من أن يسلك فى ذلك تشريعاً وسطاً بين التشريعين ، فجعل للمرأة فى الميراث نصف ما للرجل فيه : وهو تقدير عادل لا يظلمها ولا يظلمه .

وهكذا سار الإسلام فى كل أحكامه ، حتى كان للمسلمين فقه عظيم لا يضاهيه فقه آخر فى ثروته التشريعية ، وفى تعدد مذاهبه ، واختلاف أحكامه ، وحتى وسع المسلمين فى أزهى عصورهم ، ولم يحوجهم إلى تشريع آخر يكملون منه حاجاتهم ؛

وهو يباهى بهذا التشريع الديانتين السماويتين اللتين تنافسانه ، لأنه لا يوجد فيهما تشريع عظيم يغنى أهلهما عن غيره ، وهذه الأمم النصرانية توجد الآن فى أزهى عصورها ، ولكنك تجدها تعمل فيها بالشرائع الوضعية الحديثة ، لأنها لا تجد فى النصرانية تشريعاً يفى بحاجتها : ومن ينظر إلى هذه الشرائع الحديثة التى تعمل بها يجدها قريبة الشبه من الشريعة الإسلامية ، وقد ذهب كثير من المنصفين إلى أنها مستمدة منها.

القس : أظنك أيها الفتى قد فرغت مما أردته من بيان أصول الاسلام ، وقد صبرت عليك حتى قضيت حظ نفسك مما أردت ، وكان لأدبك وهدوئك أثر كبير فى هذا الصبر الذى أخذت به نفسى معك.

فهل لك أن تنتقل معى إلى بعض من المآخذ التى تأخذها على الإسلام ؟ وتصبر علىّ كما صبرت عليك ، وتستمر فى هذا الجدال الهادىء إلى أن نفرغ منه.

محمد : لك منى هذا أيها القس الفاضل : وإنى أشكر لك هذا الثناء علىّ ، وأسأل الله أن يهدينا فى هذه المناظرة إلى ما يرضيه ، وموعدنا بما تريد من ذلك المناظرة الخامسة .

المناظرة الخامسة

كان عدد الحاضرين فى هذه المناظرة أكثر من غيرها ، لأن القس (ز) أعلن أنه سيوجه فيها اعتراضات قوية على الاسلام ، فأقبل الناس ليسمعوا تلك الاعتراضات من القس ، ويسمعوا أجوبة محمد عنها .

القس : كيف تقول إن الاسلام أنصف المرأة ولم يجحف بها؟ وقد شرع تعدد الزوجات للرجل ، وفى هذا ضرر كبير عليها ، وتنغيص لحياتها الزوجية ، والواجب أن تكون هذه الحياة بين اثنين من الرجل وزوجته ، يتبادلان فيها الإخلاص للزوجية ، والإخلاص لما يكون بينهما فيها من منزل ومال وولد .

محمد : إنكم تبالغون فى النظر إلى إباحة الاسلام تعدد الزوجات ، كأنه أباح الزنا أو نحوه من المعاصى المحرمة فى الشرائع التى أنزلت قبله ، وكأنه لم يبح من هذا ما كان مباحا

قبله فى تلك الشرائع ، وكأنه لم يهذب فى تشريعه ولم يبح الزيادة فيه على أربع زوجات ، وكان مطلقاً فى تلك الشرائع، لا يقف فيها عند حد.

على أن الاسلام لم يشرع تعدد الزوجات على أنه واجب أو مندوب ، وإنما شرعه على أنه مباح من المباحات ، وحكم الإباحة الذى أعطاه الاسلام لتعدد الزوجات هو أولى الاحكام به ، وهو الذى يناسب هـذا الدين العامّ الذى شرع لكل زمان ومكان ، ووضع للشعوب البشرية على اختلاف أجناسها ، لأن حكم الإباحة من المرونة بحيث لا يساويه فيها الأحكام الأربعة الباقية (الوجوب والندب والحرمة والكراهة) ولهذا تعترى المباح سائر الأحكام ، ويجوز للسلطان أن يتصرفيه ويبدل بحسب ما تقتضيه ظروف الأحوال والأزمان ، فاختار الاسلام لتعدد الزوجات هذا الحكم المرن، ليبقى على أصله عند الحاجة إليه ، ويمنع منه إذا أسىء استعماله ، ولو أنه حرمه فى جميع أحواله لضاق الناس بهذه الحرمة فى ظروف كثيرة ، كما يحصل فى الحروب التى يقل فيها عدد الرجال عن النساء ، وتحتاج الأمة بعدها إلى زيادة عدد النسل ، لتعوض به ما فقدته فيها ، وتعدد الزوجات

مع هذا من خير الوسائل لمعالجة أمر الزنا ، فإذا كان فيه بعض من الشر ولا شر فيه إذا لم يسأ استعماله — فإنه أهون من الزنا وما فيه من الشر المستطير ، والضرر الكبير ، وإنه لا يعلم إلا الله تعالى كيف يكون حال الجسم وصحته ، والأسرة ورهناءتها ، والأمة وتفرغ أفرادها للأعمال المفيدة ، إذا أطلق للناس فى هذه الشهوة البهيمية ؟

ولم ينس الاسلام خطر تعدد الزوجات إذا أسيء استعماله ، فقيده بقيود شديدة ، ولم يبحه إلا لمن يعدل فيه بين زوجاته ، ليحفظ بالعدل بينهن نظام الأسرة ، ويسودها الإخلاص والصفاء بين الزوجات وأزواجهن ، وبين الأولاد وآبائهم وأمهاتهم ، وقد قال الله تعالى فى هذا التشريع من سورة النساء:

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا).

ثم قال بعد هذا من هذه السورة :

(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) .

ومعنى هذا أن العدل الذى هو شرط فى إباحة تعدد الزوجات غير مستطاع كله ، فيكون الأسلم لدين الرجل أن يقتصر على امرأة واحدة ، ولهذا أرى أن الحكم الأصلى فى تعدد الزوجات هو الكراهة ، وأنه لا يباح إباحة خالصة من الحرمة والكراهة إلا إذا دعت إليه الحاجة ، وليس هذا شيئا أذهب إليه بتأثير تلك الاعتراضات على تعدد الزوجات ، فقد نص عليه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى الربيع فى كتابه (سلوك المالك فى تدبير الممالك) إذ وصى فيه صاحب المرأة بست وصايا ، جعل الخامسة منها أن يقتصر على الواحدة ما أمكن ، لأنه أدعى للنظام . فهذا صريح فى أنه يرى كراهة تعدد الزوجات كما أرى ، وفى أنه لا يرى أن الأصل فيه الإباحة كما يراه الجمهور .

القس : قد ذكرت أن تعدد الزوجات من خير الوسائل لمعالجة أمر الزنا ، فما بال الزنا يوجد عند المسلمين المبيحين

لتعدد الزوجات، كما يوجد عند النصارى المحرمين لذلك التعدد ؟

محمد : أنا لم أقل إلا أن تعدد الزوجات وسيلة من وسائل معالجة الزنا ، وإذا كان هذا شأنه فإنه لا يكفي وحده في القضاء على هذا المرض الاجتماعي ، بل لا بد مع هذا من وسائل أخرى كالعقاب عليه في الدنيا ونحوه ، وهذه الوسائل إنما يراد منها تقليل تلك الأمراض التي يصاب بها المجتمع الإنساني ، لأن القضاء عليها غير مستطاع ، ولا شك أن الزنا في بلاد المسلمين أقل منه عند غيرهم ، لا سيما حينما كان الحكم في بلادهم لهم ، ولم يكن لأولئك المستعمرين من أمم النصرانية، لأنهم يجبرونهم على إباحة الزنا وإباحة شرب الخمر، وما إلى هذا مما فشا في بلاد المسلمين على يد أولئك المستعمرين.

القس : إذا كنت أيها الفتى ترى أن الكراهة هي الحكم الأصلي لتعدد الزوجات ، فما بال نبيكم قد أباحه لنفسه ؟ وما باله قد خص نفسه بالجمع بين زوجات أكثر من العدد الذي قيد به أتباعه ؟ وقد اجتمع في عصمته تسع زوجات ، فلم يقتصر على أربع منهن كما اقتصر غيره على أربع نسوة .

محمد : كلا أيها القس الفاضل ، إن نبينا لم يبح من تعدد الزوجات لنفسه ما كرهه أو حرمه على غيره ، لأن تشريع

تعدد الزوجات لم ينزل إلا فى أواخر السنة الثامنة للهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بنى بأزواجه جميعا ، إذ كانت آخر زوجاته ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وهى زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد غزوة أحُد ، وخالة عبد الله ابن عباس ، وقد عقد عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى عُمْرة القضاء بمكة ، وكان هذا فى السنة السابعة للهجرة ، ولم يدخل بها إلا بعد خروجه من مكة حيث كان بسَرِف ، فلما نزل تشريع تعـــدد الزوجات ، وحرمت الزيادة على أربع فى عصمة واحدة ، حرم على النبى صلى الله عليه وسلم أن يزيد على من فى عصمته من زوجاته ، ونزل فى هذا قوله تعالى فى سورة الأحزاب :

(لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ رَقِيباً)

ولم يمتز النبى على غيره فى هذا التشريع إلا بأنه أبيح له أن يبقى فى عصمته زوجاته جميعاً ، فلم يفارق منهن الزائدات عن الأربع ، أما غيره فأجبر بعد هذا التشريع على مفارقة الزائد عن هذا العدد ، وكان هذا فى مصلحة زوجات النبى

صلى الله عليه وسلم ، لأنهن لم يكن يرضين بشرف الزوج به بديلا ، فلم يكن شأنه فى هذا كشأن غيره ، ولم تكن المصلحة فيه عائدة عليه ، بل كانت عائدة على زوجاته . وهذا إلى أنهن حرمن على غيره من الرجال ، ولم يبح لأحد أن يتزوجهن بعده ، حتى يبقى لهن اسم أمهات المؤمنين إلى وفاتهن ، فلا يصح له مع هذا أن يفارق واحدة منهن .

وقد رأى القس أن يرجىء الكلام فيما بقى عنده من تلك المؤاخذات إلى المناظرة السادسة ، فانتهت بذلك هذه المناظرة .

المناظرة السادسة

لم ينقص عدد الحاضرين فى هذه المناظرة عن سابقتها ، وقد أخذ القس (ز) يوجه اعتراضاته ، وأخذ محمد يجيبه عنها.

القس : بقى مما نأخذه على الاسلام فى شأن المرأة تشريع الطلاق ، فقد أعطى الرجل به أقسى سلاح يصيب به امرأته فى مقتلها ، ويهدد دائما هناءتها الزوجية ، ويجعلها تعيش مع الرجل بالرهبة لا بالرغبة ، وهى عيشة لا سعادة فيها ولا هناءة .

محمد : إن شأن الطلاق عندنا كشأن تعدد الزوجات ، فلم يبح الاسلام منه ما كان محرما فى الشرائع المنزلة قبله ، بل أباح منه ما كان مباحا فيها ، فلا غضاضة فى هذا عليه ، وقد عرفت أن حكم الاباحة هو الحكم المرن من بين الأحكام الشرعية الخمسة ، وأنه هو الحكم الذى يسهل سير التشريع فيه على مقتضى الظروف والأحوال ، بين إباحة وحظر ، وإطلاق وتقييد ، فيكون حكم الإباحة فى الطلاق هو المناسب لكل

زمان ومكان ؛ والموافق لغيره من أحكام هذا الدين العامّ .

على أن الاسلام لم يبحه مع هذا إباحة خالصة ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » والحقيقة أن إباحته إنما تكون عند الحاجة الشديدة إليه ؛ فإذا لم تكن الحاجة إليه شديدة كان حكمه الكراهة ، وإذا لم يكن إليه حاجة أصلا كان حكمه الحرمة ، لأنه يكون ظلما للزوجة ، والظلم حرام فى هذا وفى غيره (١)

ومع هذا لم ينس الاسلام خطر الطلاق ، ولم ينس أنه قد يساء استعماله فيقوض نظام الأسرة ، ويكون ضررا كبيرا على الأمة ، فقيد شرعه بالمصلحة ، وجعله لمعالجة فساد الحياة الزوجية ، ولم يجعله لمجرد الهوى والشهوة ، بل رغب الرجال فى إمساك النساء عند ضعف محبة الزوجية : وضعف رغبة الرجل فى المرأة ، فلا يكون الطلاق إلا بعد فساد الحياة الزوجيه ، وبعد اليأس من معالجة هذا الفساد بالوسائل الأخرى ، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى فى سورة النساء :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ

(١) جاء فى المبسوط جـ ٦ ص ٢ أن بعض الفقهاء ذهب إلى حرمة الطلاق .

مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) .

فالطلاق فى الاسلام لم يشرع إلا لأغراض تدعو إليه ، كأن تسوء العشرة بين الزوجين لعدم موافقة الطباع أونحوه ، فحينئذ تكون الفرقة بينهما خيرا من العشرة السيئة ، لما يترتب عليها من الفساد فى أخلاق أولادهما ، وما يتبع هذا من سوء السمعة وقبح السيرة .

وقد أمر الاسلام قبل الطلاق بمعالجة المرأة بأنواع من التأديب ، ولم يرأن تفاجأ به عند سوء العشرة مفاجأة ، فشرع فى هذه الحالة العظة والهجر فى المضاجع ونحوهما ، وشرع الصلح بين الزوجين بتحكيم رجلين من أهلهما إذا لم يقدرا على معالجة ذلك بأنفسهما ، وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة النساء :

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ

سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً) .

ثم بعد هذا كله يأذن الله تعالى فى الطلاق ، ولا يجعل هذا الإذن مرة واحدة لا يجوز بعدها تدارك أمره ، والرجوع إلى الزوجية عند زوال أسباب الشقاق ، بل يجعله على ثلاث مرات، ليمكن فى المرة الأولى والثانية تدارك ذلك ، وفى تجربة المرتين كفاية عن غيرهما، ولا يصح أن يزاد عليهما ، لئلا يكون الزواج ألعوبة ، ويضيع بين الناس ماله من الحرمة ، وقد ورد فى تشريع هذا قوله تعالى فى سورة البقرة :

(الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

ولاشك بعد هذا فى أن الطلاق فى الإسلام شرع عادل، وضرورة من ضرورات الاجتماع البشرى، ويكفى فى هذا أن كثيرا من الحكومات النصرانية فى أمريكا وأوربا أخذت تعمل الآن به، مع تحريم شريعتهم النصرانية له.

القس: إن هذا لا يمكن أن يؤخذ حجة علينا، لأن هذه الحكومات تبيح الزنا وغيره مما تحرمه النصرانية: فشأنها فى الطلاق مثل شأنها فى الزنا وغيره.

محمد: شتان أيها القس الفاضل بين الطلاق والزنا، على أنى لم أذكر عن حكوماتكم فى الطلاق إلا بعد أن شرحت أمره: وبينت أنه لاشىء فيه بقطع النظر عن عمل هذه الحكومات به.

وهنا اتفق محمد والقس على أن يكتفيا بما ذكراه فى هذه المناظرة، على أن يجتمعا فى الغد للمناظرة السابعة.

المناظرة السابعة

انتهى الكلام فى المناظرة السابقة باقتناع الحاضرين بعدالة التشريع الإسلامى فى شأن المرأة ، وانتقل الكلام فى هذه المناظرة إلى مسألة الرق فى الإسلام ، وهى من المسائل التى تؤخذ عليه ، ويكثر الشغب بها حوله.

القس : تقول أيها الفتى إن الإسلام ساوى بين الناس ، ولم يجعل فضلا لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، مع أنه قد شرع الرق ، وجعل من بعض الناس سلعاً تباع وتشترى كالبهائم فى السوق ، ويقضى عليها بالشقاء وذل الرق فى هذه الحياة ، ولا يمكن أن يقال مع هذا إن الإسلام قد ساوى بين الناس ، وجعلهم جميعاً فى منزلة واحدة أمام الله ، أما نحن معشر المسيحيين فقد جاهدنا فى هذا العصر جهاداً محموداً فى إبطال الرق البشرى ، حتى قضينا عليه فى سائر أنحاء الأرض ، وتمتع الناس على اختلاف أجناسهم بنعيم الحرية.

محمد : إن الإسلام فى إباحته الرق لم يبح منه أيضاً ما حرمته الشرائع المنزلة قبله ، فقد كان مباحا فى اليهودية وفى النصرانية قبل الإسلام وبعده ، ولا فضل للنصرانية فى هذا الجهاد الحديث فى إبطال الرق ، وإن كنا نرى أنه جهاد ناقص ، ونرى أن ما عمله فى الرق ليس له قيمة كبيرة

القس : كيف تنكر أيها الفتى فضل هذا الجهاد ؟

محمد : نعم أنكر فضله أيها القس الفاضل ، وأنت معذور لأنك لا تشعر بما نشعر به معشر أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة من ذلك الرق المفروض علينا منكم ، وقد كنا قبلكم فينا سادة وأرقاء ، فلما تسلطتم علينا أصبحنا جميعاً أرقاء لكم ، وأصبحت دماءنا مهدورة ، وأموالنا مسلوبة ، وحريتنا مفقودة ، ولا رق أيها القس الفاضل أفظع من هذا الرق ، لأن رق الشعوب أذل من رق الأفراد .

وقد غفلتم أيها القس الفاضل عن معنى الرق حينما ظننتم أنكم قمتم بإبطاله فى هذا العصر ، مع أن الرق لا يبطل حقيقة إلا إذا بطلت الحروب بين البشر ، وما دامت الحروب قائمة بين البشر فهناك أسر ، وما دام هناك أسر فهناك رق ، لأن الرق لازم للأسر ، وقائم ما قامت الحرب ، والأسير لا يملك

نفسه عند آسره ؛ وهو عنده لا حرية له ولا إرادة ، وإذا لم تنته الحرب بصلح بين الفريقين المتحاربين تطلق فيه الأسرى وترد إليهم حريتهم ، فإنهم يبقون أرقاء عند آسريهم ، ويموتون أرقاء بينهم .

والرق فى الإسلام مقصور على هذا المعنى الذى لا يزال قائما ، والأرقاء فى الاسلام هم أسرى الحروب الذين لم يحصل مَنٌّ بإطلاقهم ، أو صلح على فك أسرهم ، ولا يعرف الاسلام هذا الرق القائم على التلصص والنهب ، بل هو عنده رق باطل ، والتجارة فيه عنده من أكبر الكبائر .

ولا شك أنه إذا عاش أولئك الأسرى بين المسلمين ولم يحصل صلح على إطلاقهم ، فإن المصلحة تقضى بوضعهم فى رقابة المسلمين ، فلا تطلق لهم حريتهم بينهم وهم من أعدائهم ، لئلا يستعملوا ذلك فى إلحاق ضرر بالمسلمين ، ويكونوا عيوناً لأعدائهم عليهم ، فإذا مضت عليهم مدة فى تلك الرقابة ، وأمن بعد ذلك أمرهم بدخولهم فى الاسلام أو نحوه ، فإن الاسلام يرغب الناس فى إطلاقهم ، وإزالة الرق عنهم ، وقد رغب المسلمين فى إبطال الرق رغبة شديدة ، وسنَّ لإبطاله من الوسائل ما لم يسنَّ فى شرع قبله ، فمن عتق فى الحياة رجاء

ثواب الله تعالى فيه ، إلى تدبير بعد الموت ، إلى كتابة على مال معين ، إلى عتق فى كفارات لا تحصى ولا تعد .

ويمكننا أن نقول بعد هذا إن الحكم الأصلى المرق فى الاسلام الكراهة لا الاباحة ، لأنه ينظر اليه كشىء غير مرغوب فيه ، وشأنه عنده كشأن الطلاق ونحوه مما كان للضرورة حكمها فى إباحته .

على أن الرق فى الاسلام لا نصيب له من اسمه فيه، اللهم إلا فى أحكام نادرة خص بها الأرقاء ، وبعضها قضت به الشفقة عليهم، وبعضها الآخر قضت به بينهم ، وهم والأحرار سواء أمام الله تعالى ، بل قد يفضلون عنده الأحرار بالصلاح والتقوى ، فالأرقاء فى الاسلام إخوان الأحرار ، ولا يجوز للأحرار فيه أن يمتازوا على أرقائهم فى مأكل أو مشرب أو ملبس أو نحو ذلك ، ولا أن يقسوا فى معاملاتهم ، أو ينظروا إليهم على أنهم أقل منهم ، وقد وصل الأرقاء بهذا فى الاسلام إلى مالم يصلوا إليه عند غيره ، وكان منهم فيه الملوك ، وكان منهم الولاة والوزراء والساسة ، وكان منهم قواد الجيوش فى الحروب وغيرها ، يطاعون فى ذلك كله كما يطاع الأحرار ، ويخضع لأمرهم كما يخضع لأمر غيرهم ، وقد روى فى هذا عن

النبي صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي أجدع له زبيبة)

وإذا كان هذا شأن الرق في الإسلام فهو أول من يضع يده في يد من يعمل على إلغائه ، بشرط أن يكون ذلك خالصاً لوجه الله تعالى ، وألا يتخذ وسيلة لفرض الرق على الشعوب بعد إلغائه في الأفراد ، ولم يعط الإسلام الرق إلا حكم الإباحة ، وهو كما سبق حكم مرن لإمام المسلمين أن يحسن فيه بما تقتضيه المصلحة ، وأن يجري فيه على حسب الظروف والأحوال

وهنا طلب القس من محمد أن يقف عند هذا الحد ، ولم يعقب على ما قاله بكلمة ، ثم انصرف الحاضرون على أن يعودوا غداً لسماع المناظرة الثانية

المناظرة الثامنة

جاء الغد ، وعقدت هذه المناظرة فى ميعادها منه ، واتفق محمد والقس (ز) على أن يكون الحرب فى الإسلام موضوع هذه المناظرة

القس : إن نبيكم عندنا كان ملكا لا نبياً ، لأن حياته أشبه بحياة الملوك منها بحياة الأنبياء ، فقد قام أمره بالحرب ، واعتمد فيه على استعمال السيف ، ولم تكن دعوته سلمية بريئة كدعوة غيره من الأنبياء ، تعتمد على الآيات الالهية ، وتؤيد بالمعجزات التى يؤيد الله تعالى بها الرسل ، فإما أن يؤمنوا بها فينجو ، وإما أن يكفروا بها فيأخذهم الله بعذاب الدنيا أو الآخرة ، وليس على النبى أن يحارب فى هذا أو يقاتل ، لأن الله تعالى قد أرسل الأنبياء هداة مبشرين ومنذرين ، ولم يرسلهم ملوكا فاتحين ، وقد أعطى دينكم لأهله حق الفتح ، فشهروا سيوفهم فى وجوه الناس ، وأخذوا العالم بحروب

قاسية متصلة غير منقطعة ، ولم يكن من الممكن أن يكون لدينكم فى الناس غير هذا الأثر ، لأنه لم يقم إلا على القتال ، وقد عد الجهاد فيه فرضا من الفروض المؤكدة .

محمد : رُوَيْداً أيها النفس الفاضل : فقد انطلقت فى دعاوى غير صحيحة ، وإنى سأنقضها لك واحدة فواحدة .

إنك ادعيت أولا أن نبينا عندكم ملك لا نبى ، لأن حياته كانت أشبه بحياة الملوك منها بحياة الأنبياء ، وهذا معناه أنك ترى أن النبوة لا تجامع الملك ، وليس لهذه الدعوى حظ من الصواب ، لأنه لا منافاة بين الملك والنبوة ، وإذا كان من الأنبياء السابقين قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كانوا أنبياء غير ملوك ، فإن فيهم من كانوا أنبياء وملوكا ، كداود عليه السلام ، وقد قام بالملك فى بنى إسرائيل بعد ملكهم طالوت ، وكان طالوت أول ملوكهم ، وكابنه سليمان عليه السلام ، وقد قام بالملك بعد أبيه داود ، وورثه عنه كما يورث الملك فى كل دولة ملكية : ومع هذا لم يكن نبينا ملكا ، ولم يعمل على أن يكون لأحد من قرابته بعد وفاته هذه الصفة ، وقد أراد بعض الولاة فى عهد عمر بن عبد العزيز أن يأخذ الجزية من قوم ظنهم أسلموا هربا منها ، فأنكر عمر ذلك عليه ، ومنعه

من أن يأخذ الجزية منهم ، وقال له : إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ، ولم يبعثه جابيا .

ثم ادعيت ثانيا أن الاسلام قام أمره بالحرب ، وأن دعوته لم تكن سلمية بريئة مثل دعوة غيره من الأديان ، وهى دعوى غير صحيحة أيضاً ، لأن دعوة الاسلام سلمية بريئة مثل دعوة غيره من الأديان السماوية ، وقد أيد فيها النبى صلى الله عليه وسلم بالمعجزات كما أيد غيره من الأنبياء ، وكيف لا يكون الاسلام كذلك وهو الذى ينطق بها دعوة صريحة إلى السلام فى قوله تعالى من سورة البقرة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)

ثم أمر أتباعه بالجنوح إلى السلم إذا جنح أعداؤه له وإن لم يكونوا مخلصين فى جنوحهم ، فقال تعالى فى سورة الأنفال :

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ

بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وقد مكث الإسلام فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو ربالسلم ، ويتحمل من الأذى ما لا يطاق حمله ، إلى أن تآمر المشركون على قتل النبى صلى الله عليه وسلم ، فهاجر منهم إلى المدينة ، وأذن الله تعالى له فى قتالهم ، لا ليدعوهم بالقتال إلى الإسلام ، ولكن ليكفّ عدوانهم عنه ، كما تنطق بهذا الآيات الواردة فى شرع القتال له ، قال تعالى فى سورة الحج :

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

وقال تعالى فى سورة البقرة :

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) .

وإذا كان من الواجب فى الدعوة الدينية أن تكون سلمية، فإن من الواجب أن تعطى حق الدفاع عن نفسها ، لأن هذا من الحقوق الطبيعية التى لا يمكن إنكارها ، ولولا هذا الحق الطبيعى فى الناس لاختل العمران ، وفسد الاجتماع ، كما قال تعالى فى سورة البقرة :

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)

ثم ادعيت ثالثا أن الاسلام أعطى لأهله حق الفتح ، فشهروا به سيوفهم فى وجه العالم ، وأقاموها حروبا دائمة لا نهاية لها ، وما على الاسلام شيء فى أن يعطى لأهله هذا الحق ، لأنه يقصد منه فيه إقامة العدل بين الناس ، وتقويض دعائم الحكم القائم على الفساد والاستبداد ، وقد فتح المسلمون بلاد الفرس والروم فلم يستأثروا بشيء دون أهلها ، ولم يعملوا على بقاء شخصيتهم متميزة ممتازة على شخصية المحكومين ، بل اندمجوا فيهم ، وأخذوا كثيرا من عاداتهم ، وخالطوهم بالمصاهرة وغيرها ، حتى فنيت شخصية الحاكمين فى المحكومين ، وصاروا جميعا شعبا واحدا لا حاكم فيه ولا محكوم ، وهذا فى الحقيقة ليس بفتح ، وإنما هو العمل على التقريب بين الشعوب ، وإزالة الفوارق الموقعة للشقاق بينهم ، وهذا بلا شك مقصد نبيل ، وغرض من أشرف الأغراض .

على أن الاسلام لم يعط لأهله حق الفتح إلا لحمايه دعوته أيضا ، فإذا أمن جانب قوم فإنه ليس لأهله أن يقصدوهم بحرب ، أو يطمعوا فى بلادهم وأموالهم ، وقد نشأ المسلمون فى بلادهم بجزيرة العرب ، وكان بعض منها يملكه الفرس ، وبعض منها يملكه الروم ، فلما ظهر المسلمون فى بلاد العرب ،

وأخذوا يستردون هذه البلاد من الفرس والروم ، ويوجهون اليهم دعوة سلمية بريئة إلى دينهم — كبر ذلك عليهم ، وقامت الحرب بهذا بين الفريقين ، وكان بها ما كان من تلك الفتوحات الإسلامية ، وقد انتصرت فيها قوة الايمان على قوة العدد والعُدد وذل فيها كبرياء كسرى وقيصر ، وعز تواضع أبى بكر وعمر .

ولا يبلغ الاسلام فى هذا ما بلغته اليهودية التى نشأت فى مصر ، ثم سارت الى أرض الميعاد بفلسطين والشام لفتحها ، وإقامة دولة يهودية بدل الدول الوثنية التى كانت قائمة بها ، ولا شىء فى هذا على اليهود أيضا ، لأن سنة الله قضت بجعل الأرض للصالحين من عباده ، كما قال تعالى فى سورة الأنبياء

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)

وكما قال فى سورة النور :

(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

فالصالحون لعمارة الأرض يبدلون جدبها خصبا ، وخوفها أمنا ، وفسادها صلاحا ، فينتفع الناس بها ، وينتشر الخير بين أهلها .

فقال القس لمحمد : يكفى هذا منك أيها الفتى ، وسنجتمع غداً للمناظرة الخامسة .

المناظرة التاسعة

رأى القس (ز) أن محمداً كان قوى الحجة فى جميع المسائل التى أثارها ، فأراد أن يثير فى هذه المناظرة مسألة ظن أن محمداً لا تنهض فيها حجته : كما نهضت فى غيرها من المسائل ، وجعل هذه المناظرة لبحث معجزة القرآن الكريم .

القس : إن الرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة ، ولم يبعث الله تعالى رسولا إلا ومعه معجزته التى تدل على رسالته ، فكانت لنوح معجزة الطوفان ، ولإبراهيم معجزة النار التى ألقى فيها فكانت برداً وسلاما عليه ، ولموسى معجزة انشقاق البحر وغيرها من معجزاته ، ولعيسى معجزة إحياء الموتى وغيرها ، أما نبيكم فلا معجزة له كغيره من الأنبياء ، وقد كان قومه يطلبون منه ذلك فلا يجيبهم إليه ، ويقول لهم فى ذلك ما قاله القرآن فى سورة الإسراء :

(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)

وكذلك قال فى هذه السورة :

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) .

محمد : إن لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم معجزة من أكبر المعجزات ، إن لم تكن أكبرها وأبقاها على الدهر ، وهى معجزة القرآن الكريم ، فقد تحدى قومه به كما تحدى غيره من الأنبياء أقوامهم بآياتهم ، وورد هذا فى قوله تعالى فى سورة هود :

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) .

وفى قوله أيضاً من سورة البقرة :

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) .

ثم أعلن فى سورة الإسراء عجز الإنس والجن عنه، فقال:

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)

فتمت بهذا معجزته ، ولا يعنينا بعد ثبوتها أن يكون

وجه إعجازه بلاغته أو صرف الناس عنه أو غيرهما مما قيل فى إعجازه .

القس : إذا كانت هذه معجزة نبيكم فما معنى هذه الآيات التى ذكرتها لك ؟ وهى صريحة فى أنه لم يرسل بآية كما أرسل الأنبياء الأولون من قبله .

محمد : إن الآيات التى يعنيها الله تعالى فى قوله :

(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) . هى آيات العذاب التى أهلك بها عادا وثمود وقوم نوح وغيرهم من المكذبين لرسلهم، لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت رسالة رحمة لا رسالة عذاب ، فاختار الله تعالى لها تلك المعجزة القرآنية الباقية ، ليأخذهم بالإقناع لا بالتخويف ، ويبقى الأمل فى إيمانهم بها لبقائها وعدم انقطاعها ، ولا يأخذهم بعذاب الدنيا كما أخذ من قبلهم بعد انقضاء نزول آياتهم وتكذيبهم بها ، لانقطاع الأمل فى إيمانهم بعدها .

على أن دعواك أيها القس الفاضل أن الرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة غير صحيحة ، وإنما تلزم المعجزة فى إثبات الرسالة عند عدم الإيمان بها ، وهذا فى الغالب إنما يكون من الجهلة

والمعاندين الذين لا ينظرون بعقولهم ، وإنما يريدون أن يؤمنوا بحواسهم، وهو إيمان ناقص لا بقاء له ، وقد آمن بنو إسرائيل بمثل هذا فى مصر ، وأراهم الله فيها من تلك الآيات العجيبة ما آراهم ، وأنقذهم من ظلم فرعون الذى كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ، ثم كان منهم ما ذكره الله تعالى فى سورة الأعراف :

(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) .

وكذلك كان منهم ما ذكره فى سورة المائدة مما كان سببا فى ضرب التيه عليهم فى صحراء سينا :

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَالَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ، يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا

عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ، وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ).

فهذا كان مقدار إيمان بنى إسرائيل بموسى بعد تلك المعجزات الحسية، وإنه لا يمكن أن يذكر بجانب إيمان المسلمين الذين اختار الله لهم معجزةَ القرآن، وأخذهم فيه بالإقناع

والبرهان ، وقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم معهم فى غزوة بدر مثل موقف موسى مع قومه ، فقالوا له على لسان المقداد ابن الأسود رضى الله عنه : يارسول الله ، امض لما أمرك الله فإنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه

المناظرة العاشرة

ذهب محمد إلى دار المبشرين فى ميعاد المناظرة التاسعة فوجد القس (ز) ينتظره فيها ، ثم قامت بينهما هذه المناظرة :

القس : يا محمد ، لا يكفى فى معجزة القرآن أن يعجز العرب ببلاغة أسلوبه ، وحسن تأليفه ، بل لا بُدَّ مع هذا أن يكون بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما جاء فى بعض سوره ، فلا يصح إذا كان من عند الله أن يكون فيه اختلاف فى شىء من الأشياء ، أو أن يكون فيه غلط فى ذكر تاريخ ، أو فى ذكر نسب ، أو فى غير هذا مما جاء فيه .

محمد : نحن معشر المسلمين نقر ما قلت أيها القس ونؤمن به ، وقد جاء هذا فى قوله تعالى من سورة فُصِّلَتْ :

(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)

وهذا من ضمن إعجازه عندنا ، لأنه لو كان من البشر لجاز عليه ما يجوز عليهم من الخطأ والنسيان .

القس : يامحمد ، أنا لا أطلق القول جزافا ، وإنما أقوله وعندى شواهد عليه ، وإنى سأذكر منها هذا الشاهد :

لقد نسب القرآن مريم أم عيسى إلى عمران أبى موسى ، وجعلها أختاً لهارون أخيه ، مع أن موسى اقدم من عيسى بنحو من ألف وستمائة سنة ، وقد كان أبو مريم هو هالى أو عالى ، وهو من نسل داود عليه السلام ، وداود من سبط يَهُوذَا ابن يعقوب عليه السلام ، أما موسى وهارون فهما من سبط لاَوى بن يعقوب ، فكيف يجعل القرآن عمران أبا لمريم ؟ وكيف يجعل هارون أخا لها ؟ مع أن حقيقة نسبها هو ما ذكرت .

وقد جاءت نسبة مريم إلى عمران فى سورة التحريم :

(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)

وفى سورة آل عمران :

(إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) .

ثم قال : فما تقول فى هذا يا محمد ؟

محمد : سأقدم لك عن هذا جواباً لا أحب أن أكتفى به ، وإن كان فيه كفاية عند كل منصف ، وهو أنه كان يصح لك أن تطعن بهذا على القرآن لو كان يسلم صحة كل ما جاء فى كتبكم ، ولكنه لا يسلم صحة كل ما جاء فيها ، بل يصرح فى آيات كثيرة أنكم أدخلتم فيها من التحريف ما أدخلتم ، وبهذا كان القرآن مُهَيْمِناً عليها ، ولم تكن هى مهيمنة عليه ، حتى يحتج بها عليه فى شىء من الأشياء .

ولا شك أن هذا يسقط كل ما ذكرته من غير بحث

ولا مناقشة ، لأنه لا يمكنك أن تحج خصما بدليـــل نقلى إلا إذا اعترف بصحة ما نقل منه ، كما تقرر فى علم أدب البحث والمناظرة

القس : هذا قد يكفى فى الجواب يامحمد ، ولـكنه لايزيح كل أثر فى النفس من جهة ماذكرت ، ولا سيما عند من لا يعترف بصحة كتابكم وكتبنا ، وقد يستند عليه فيما يزعمه من بطلانها كلها لتناقضها فيه .

محمد : نعم أيها القس قد يستند بعض أعداء الأديان على هذا فى الطعن عليها ، ولهذا رأيت ألاَّ أكتفىَ بالجواب الذى قلت إن فيه الـكفاية فى إبطال ما ذكرت ، وأن أضم إليه جواباً آخر على تسليم صحة ماجاء فى هذه الـكتب

القس : يا محمد ، إنك لو وفقت بين كتابكم وكتبنا فيما ذكرت تكون موفقاً كل التوفيق ، وتكون قد أحسنت إلى كتبنا وكتابكم .

محمد : إنه لا مانع من أن يكون عمران الذى نسبت مريم إليه فى القرآن هو عمران أبو موسى ، لأنه مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونحوهم من الآباء الذين يصح أن ينسب إليهم كل يهودى ، لعظمتهم وشهرتهم بين اليهود ، وقد ورد

فى الإنجيل أن عيسى جلس على كرسى أبيه داود ، وكان بينه وبين داود أكثر من عشرة آباء ، وقد قال يعقوب لابنه يوسف فى سورة يوسف:

(وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وإبراهيم جده الثانى ، وإسحاق جده الأول .

ثم قال : وإنك إذا رجعت أيها القس إلى الآيات التى نقلتها من سورة آل عمران تجدها ظاهرة فى أن عمران واحد فى هذه الآيات، لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى، ولا شك أن عمران فى قوله (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) هو عمران أبو موسى وقد كانت أم مريم تسمى حَنَّا بنت فاقوذا ، وهى أخت إيشاع (أليصابات) زوج زكريَّا عليه السلام ، وهما من نسل هارون بن عمران [1] وعلى هذا يكون عمران جدها لأمها ،

(١) أنظر إنجيل لوقا — ص ١ — ٥ ، ص ١ — ٣٦

وهذا أيضاً يصح به أن تكون بنتا له ، لأن الجد أب كما سبق .

القس — يا محمد ، هل كان عمران مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من آباء اليهود الأولين ، حتى تصح نسبة كل يهودى اليه ؟

محمد — لقد كان عمران مثل إبراهيم وغيره من آباء اليهود الأولين ، ويكفى أن آله ذكروا مع آل إبراهيم فيمن اصطفاهم الله على العالمين ، كما جاء فى الآية السابقة من سورة آل عمران ، وكيف لا يكون عمران وآله مثل إبراهيم وآله ؟ وموسى وهارون ابنا عمران هما اللذان رفعا شأن بنى إسرائيل ، وأنقذاهم من ذل العبودية فى مصر ، وسارا بهم إلى الأرض الموعودة لهم ، فصار لهم بها شأن أىّ شأن ، ودولة من أكبر الدول .

القس : يا محمد ، إذا سلمت لك أن مريم يصح أن تكون بنتا لعمران على هذا الوجه ، فكيف يصح أن تكون أختا لهارون ابنه ؟ ولماذا جعلت أختا له ولم تجعل أختا لموسى أخيه ؟

محمد : هذا يرجع أيها القس إلى أمر من تاريخ بنى إسرائيل ما كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليعلمه فى أميته ، وإنما هو رسول رب العالمين ، علمه ما لم يكن ليعلمه ، وذكر له فى القرآن الكريم من هذا وغيره ما يدل على أنه ليس من عنده .

لقد كان أحبار اليهود من أبناء هارون عليه السلام ،

وكانت كهانة بنى إسرائيل متوارثة فيهم ، وكانوا يلوذ من بيت المقدس ما يلى السدنة من الكعبة عند العرب ، فلما كبرت حنا أم مريم وأمسك عنها الولد دعت الله أن يهب لها ولداً ، ونذرت أن تهبه لبيت المقدس ، فيكون من أحباره وسدنته ، فأجاب الله دعاءها فحملت بمريم ، وقد مات أبوها قبل أن تضعها ، فلما وضعتها لفتها فى خرقة وحملتها إلى بيت المقدس ، وتركتها عند أحباره من أبناء هارون ، فتنافسوا فيها أيهم يكفلها ؟ ثم اقترعوا عليها ، فخرجت قرعتها لزكريا زوج خالتها إيشاع ، فاهتم بتربيتها اهتماما عظيما ، ولما شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى بيت المقدس ، وجعل بابه فى وسطه ، فلا يرقى إليه إلا بسلم ، ولا يصعد إليها أحد غيره .

وبهذا صارت مريم من أحبار اليهود ، كما قال تعالى فى سورة التحريم :

(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) .

وقد سبق أن الأحبار من أبناء هارون عليه السلام ، فهو جدهم الأعلى وأصل قبيلهم ، وهو فى هذا كآباء قبائل العرب

من قريش وتميم وقيس وغيرهم ، وكان العرب ينادون كل واحد من قريش مثلا — يا أخا قريش — وكل واحدة منهم — يا أخت قريش — وعلى هذا يصح أن ينادى كل حبر من أحبار اليهود — يا أخا هارون — وأن ينادى من يسلك من النساء مسلكهم — يا أخت هارون .

فلما حملت مريم بعيسى عليه السلام ظن قومها بها السوء ، وقالوا لها كما جاء فى سورة مريم (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) وآثروا فى ندائها هذا النداء ، لأن من كان مثلها من الأحبار لا يليق به أن يرتكب ما ارتكبته فى زعمهم ، ولا شك أن هذا أيضا مما يصح به جعلها بنتا لعمران أبى هارون ، لأنه إذا صح به جعلها أختا له صح به جعلها بنتا لأبيه .

القس : يا محمد ، هذا جميل جداً منك ، ولكنى لم أجده فى كتب التفسير وغيرها من كتب علمائكم الأولين .

محمد : أيها القس ، كم ترك الأول للآخر ، ولكنى أذكر لك بعد هذا أنكم مختلفون فى اسم والد مريم ، فقد جاء فى إنجيل يعقوب وإن كنتم لا تعترفون به أن اسمه يهوياقيم ، وهو كما ذكر ابن خلدون بمعنى عمران (١)

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر حـ ٢ ص ١٤٤

وقد جاء اسم هالى أو عالى فى إنجيل لوقا : انقال — ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن الناس ابن يوسف بن هالى بن متثات — وهذا صريح فى أن هالى أبو يوسف لا أبو مريم ، ولكن إنجيل متى ذكر فى نسبه أنه ابن يوسف بن يعقوب بن متان ، وهذا صريح فى أن أبا يوسف هو يعقوب لا هالى .

فلما وجدوا هذا التناقض بين الإنجيلين دفعوه بأن هالى كان أبا يوسف من جهة مريم ، لأنه لم يكن لأبيها ولد ذكر ، فنسب إليه يوسف فى إنجيل لوقا على ما كان معروفا عند اليهود .

وبهذا انتهت هذه المناظرة ، فانصرف الناس على أن يحضروا لسماع المناظرة الحادية عشرة .

المناظرة الحادية عشرة

اجتمع الناس فى ميعاد هذه المناظرة ، وابتدأ القس (ز) يوجه اعتراضاته إلى محمد ، فقال :

القس : يامحمد، تزعمون أن الإسلام دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء، كما جاء فى سورة البقرة :

(قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

فكيف تكونون على دين هؤلاء الأنبياء ؟ وقبلتهم إلى بيت المقدس ، وقبلتكم إلى الكعبة ، فلو كنتم على دينهم لكانت قبلتكم إلى بيت المقدس مثلهم .

محمد : لقد سبق إلى هذا الاعتراض معاصرو النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود ، وقد رد عليهم القرآن بأن مسألة

القبلة لاتهم فى الدين ، لأن الدين إنما يمتاز بما يدعو إليه من الأصول الصحيحة ، والشرائع العادلة ، والأخلاق الفاضلة ، أما القبلة فليست بذات شأن فى الدين ، كما قال تعالى فى سورة البقرة :

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) .

ثم إن القبلة تتخذ فى الصلاة ليولى الإنسان وجهه فيها إلى ربه ، والله سبحانه وتعالى ليس له مكان خاص يقصد فيه ، كما قال تعالى فى سورة البقرة :

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

على أن بيت المقدس لم يبن إلا فى عهد سليمان عليه السلام ،

ولم يتخذ قبلة إلا من ذلك العهد ، فلم يتخذه إبراهيم ولا إسماعيل ولا إسحاق ولا يعقوب ولا غيرهم من الأنبياء الذين كانوا قبل سليمان .

القس — لاشك أن بيت المقدس أفضل من الكعبة، لأن الذى بناه نبي من أنبياء الله تعالى ، أما الكعبة فهى من بيوت العرب الوثنيين ، وكانت موطن أصنامهم وأوثانهم ، فلا يصح لدين يدعو إلى التوحيد أن يتخذ منها قبلة له ، ولا أن يشارك الوثنيين فى تعظيم مايعظمونه .

محمد — إن التاريخ يخالف ماذكرت أيها القس فى شأن الكعبة ، لأنه يثبت أنها من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وقد شرع إبراهيم الحج إليها بعد بنائها ، ودعا الله تعالى أن يجعل مكة بلداً آمنا ، وأن يرزق أهلها من الثمرات ، وأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وبهذا تكون الكعبة أقدم من بيت المقدس ، بل تكون أقدم بيت وضع لعبادة الله تعالى ، كما جاء فى سورة آل عمران:

(إنَّ أوَّل بيتٍ وُضِع للنَّاسِ لَلَّذِي ببكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً للعالمين) .

وبهذا تكون الكعبة أفضل من بيت المقدس ، لأنها من بناء ابراهيم أب الأنبياء ، وهى أول بيت وضع لعبادة الله ،

ولكل قديم حرمته وقداسته، وإذا كان العرب قد شوهوها بأصنامهم وأوثانهم ، فإنه لاذنب عليها فى ذلك ،وإنما الذنب على من جعلها موطنا للأصنام والأوثان ، وعلى من عبدها أو تقرب بعبادتها إلى الله تعالى ، ويجب على من يدعو إلى التوحيد أن يجاهد فى تطهيرها من ذلك ، حتى تكون خالصة لعبادة الله كما كانت ، وقد قام الإسلام بهذا الجهاد المقدس ، حتى أرجعها إلى حظيرة التوحيد ، واتخذ منها قبلة للمسلمين ، وعرف من فضلها مالم يعرفه غيره من الأديان .

القس : نحن لا نسلم لك أيها الفتى أن الكعبة من بناء إبراهيم وابنه إسماعيل ، لأنهما لم يصلا إلى مكة ، ولم يكن لهما شأن بأهلها ، والذى جاء فى التوراة أن إسماعيل وأمه لما خرجا من بيت إبراهيم سكنا فى بَرِّيَّة فارَانَ ، وهى بيرية سيناء بين مصر وبلاد ثمود ، وتبعد عن مكة بمراحل كثيرة

محمد : ذكرت لك أيها القس فيما سبق أنه لا تقوم علينا حجة بما فى التوراة ، لأنا لا نسلم صحه كل ماجاء فيها ، وهذا يكفينا فى الرد على دعواك أن إسماعيل لم يسكن مكة، ولم يقم هو وأبوه إبراهيم ببناء الكعبة .

على أن الذى جاء فى التوراة أن هاجَرَ وابنها إسماعيل

لما خرجا من بيت إبراهيم توجَّها إلى برية بئر سبع ، وكاد ابنها يهلك عطشاً ، ثم سكنا فى برية فاران . ولا شك أن برية بئر سبع هى برية سيناء ، فتكون برية فاران بعدها إلى مكة والحجاز ، وقد ذكر علماء الجغرافيا من العرب أن برية فاران بين مكة وسيناء ، وأن فاران جبال بالحجاز .

وهذا إلى أن العرب المستعربة معروفون فى التوراة وغيرها بالإسماعيليين ، والعرب المستعربة يتفرع نسبهم من عدنان ، وهو الجد الأعلى لقريش سكان مكة ، وقد جاء فى سِفْر التكوين من التوراة (وعلى إسماعيل أستجيب ، هو ذا أباركه وأكثره وأكثره جداً ، فيلد اثنى عشر رئيساً ، واجعله لشعب كبير) فلو لم تكن قريش وسائر العرب المستعربة هم أبناء إسماعيل لكان هذا النص من التوراة غير صحيح ، ولتخلف وعد الله فيه وهو لا يخلف وعده ، لأنه لا يكون هناك نسل لإسماعيل باركه الله وكثره جـــداً ، ولا يكون هناك شعب كبير ينتسب اليه فى جهة من جهات الأرض ، وإلا فأين هو ذلك الشعب إذ كان غير العرب المستعربة ؟ وفى أىّ أرض يسكن ؟ ليتحقق وعد الذى لا خلف فيه ، وتثبت بشارته التى لا كذب فيها .

وهذا إلى أن لغة العرب المستعربة قريبة جداً من اللغة العبريَّة ، وهى اللغة الأصلية لإسماعيل عليه السلام ، ولا تزال هى اللغة القومية لليهود ، وهذا الشبه لا يمكن أن يكون إلا إذا كان هناك صلة نسب بين الفريقين ، وقد جاء التاريخ بهذه الصلة ، وروى أن هؤلاء العرب ينتسبون إلى إسماعيل ابن إبراهيم ، كما أن اليهود ينتسبون إلى إسحاق بن إبراهيم ، فاتفق فى تأييد هذه الصلة علم التاريخ وعلم اللغة ، وكفى بهما دليلا عليها .

القس : إذا كان هذا شأن الكعبة عندكم ، فلماذا اضطربتم فى اتخاذها قبلة لكم ؟ فإنكم اتخذتموها قبلة لكم قبل الهجرة من مكة إلى المدينة ، ثم عدلتم عنها إلى بيت المقدس فى أوائل إقامتكم بالمدينة ، ثم عدتم اليها فكانت قبلتكم فى صلاتكم ، وجعلتم حجكم اليها فى أشهركم الحُرُم .

محمد : سأبين لك السر فى هذا أيها القس الفاضل ، لقد اتخذ الإسلام الكعبة قبلة له فى أول نشأته ، لأنها هى القبلة الطبيعية له ، ولكل دين قبلة يتوجه أهله اليها فى صلاتهم ، ويجتمعون فيها كل سنة عند حجهم ، وإن من مصلحة أهل الأديان أن يكون لأهل كل دين قبلة خاصة به . لما بينهم من

التنازع والتخاصم ، فإذا اجتمعوا فى قبلة واحدة فى حج أو نحوه لم يؤمن تنازعهم وتخاصمهم ؛ ولهذا قال الله تعالى فى سورة البقرة :

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وقد مكث المسلمون على هذه القبلة أيام إقامتهم بمكة ، فلما هاجروا إلى المدينة اتسع أفق الدعوة الإسلامية ، وصاروا بين عرب ويهود ونصارى يراد دعوتهم إلى الإسلام ، ويقصد جمعهم على دين واحد ينشر بينهم لواء السلام ، ويقضى على ما بينهم من حروب ، بل ينشر لواء السلام بين الناس جميعا ، ويقضى على الحروب بين الشعوب كافة .

وقد كان اليهود والنصارى بحيث يصعب عليهم جعل الكعبة قبلة لهم ، وقد يجعلهم هذا يسيئون فهم الدعوة الإسلامية ، ويظنون أنها دعوة سياسية قومية يراد منها مصلحة العرب ، وتوجيه الشعوب إلى كعبتهم بالصلاة والحج ، لتكون لهم الزعامة عليها ، وتروج أسواقهم كل سنة بمن يقصدهم منها كل سنة للحج : فأراد الإسلام أن يزيل من نفوسهم هذا الظن ، وأن يضحى بقبلته إلى قبلتهم ، ويقطع بهذا كل عذر لهم فى

الإحجام عن الإيمان بهذا الدين الجديد ، وما كان أهونها تضحية لو كان لها أثرها فى نفوسهم ، وصار الناس جميعا إخوة فى هذا الدين، لاعصبية ولا قومية ، ولا حرب ولا خصومة، لأن الاسلام لايهمه أمر القبلة بقدر مايهمه جمع الناس على دين واحد ، ولا يعنيه أن يتوجه الناس إلى الكعبة أو بيت المقدس أو الشرق أو الغرب، كما تعنيه هذه الغاية النبيلة ، وكما يهمه هذا المقصد الأسمى ، فالجهات كلها لله تعالى، وأينما نولى وجوهنا نجد الله أمامنا ، ولكن المهم أن نولى جميعا وجوهنا إليه ،وأن يجمعنا دين واحد يوحد بيننا ، ويقضى على فرقتنا، ويسوى بين الناس فى الحقوق،وينظر إليهم كلهم نظرة واحدة.

فلما وجد الاسلام أن هذه التضحية لاأثر لها ، وأن اليهود والنصارى أصروا على دينهم ، عاد إلى قبلته الطبيعية، ليكون له قبلته وحده، ويكون لليهود قبلتهم، ويكون للنصارى قبلتهم، لأن هذا أقرب إلى السلام من جمعهم على قبلة واحدة ، وهم أعداء متخاصمون ، وأشياع متباغضون ، فالبعد بينهم فى هذه الحالة أسلم ، وانفراد كل دين بقبلة أدعى للسلم .

المناظرة الثانية عشرة

تأخر محمد عن ميعاد هذه المناظرة ربع ساعة ، لأن قطار الترام الذى كان يحمله حدث به خلل ، فتطلعت عيون الناس إليه ، وجلسوا ينتظرونه كما ينتظر الظمآن الماء ، لأن هذه المناظرات أخذت منهم كل مأخذ ، وصارت عندهم أهم أمر يطلبونه كل يوم .

فلما حضر محمد أخذ مكانه بجانب القس (ز) بعد أن اعتذر للحاضرين عن هذا التأخر الذى لا يد له فيه ، ثم أخذ القس يوجه إليه اعتراضاته على عادته ، وأخذ يجيبه عنها .

القس : ذكرت يا محمد أن الإسلام دين عام لكل الشعوب ، وأن كل الشعوب فى نظره سواء ، وأن غايته جمع الناس على دين واحد ، لا يعلو فيه شعب على شعب ، ولا تراعى فيه مصلحة شعب دون شعب ، بل ينظر فى سياسته نظرة إنسانية عامة ، ولا ينظر فيها نظرة قومية خاصة ، كما كانت تنظر

الدول القديمة قبله ، وكما تنظر الدول الحديثة الآن .

فهل يتفق هذا وما جرى عليه من طبع دولته بالطابع العربى ؟ إذ جعل لغتها العربية ، وجعل رئيسها عربياً ، لتكون للعرب السيادة فى دولتهم على غيرهم من الشعوب ، ويكون للغتهم السيادة على غيرها من اللغات ، وقد جرى الأمر على هذا فى عهد نبيكم ، وفى عهد الخلفاء الأربعة بعده (أبى بكر وعمر وعثمان وعلى) وفى عهد بنى أمية ، وفى عهد بنى العباس ، ولم تتغير دولتكم عن هذا الوضع إلا بعد أن اغتصبت الشعوب الحكم من العرب ، فكانت دولة الأتراك العثمانيين ، وكان غيرها من الدول التى خرجت على الطابع العربى .

محمد : أيها القس الفاضل ، إن الإسلام يريد أن يجمع الناس على دين واحد ، ولا يريد أن يجمعهم على دولة واحدة ، ولا أن يجعل منهم جنساً واحداً ، ولا من لغاتهم لغة واحدة ، فالله هو الذى خلق الناس وجعل منهم قبائل وشعوبا ، ولو شاء لجعلهم شعباً واحداً ، كما قال تعالى فى سورة هود :

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ

خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) :

وقد جاء هذا المعنى صريحا فى سورة الحجرات ، فقال تعالى .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

فلا يهم الإسلام أن تبقى هذه الشعوب والقبائل . ولا أن تبقى لكل شعب خصائصه ومميزاته من لغات وعادات ، وإنما يهمه أن تتعارف الشعوب ولا تتناكر . وأن تتحابّ ولا تتخاصم ، ليعيش الضعيف آمنا بجانب القوى ، فلا يطمع فى وطنه ، ولا تمتد عينه إلى ماله ، ولا يسخره فى قضاء مآربه ، ليسعد من شقائه ، وليغتنى من فقره .

وهذا قرآننا أمامك أيها القس ، لا يمكنك أن تجد فيه آية تدل على أنه يسعى فى إنشاء دولة عربية ، ولا أن تجد فيه آية تدل على أنه يريد أن تعلو كلمة العرب على غيرهم من الشعوب ، ولا أن تجد فيه آية تدل على أنه يريد أن تعلو لغتهم على غيرها من اللغات ، لأن مثل هذا ليس من رسالته ، ولا هو من

شأنه «وإنما هو من العصبية التى جاء للقضاء عليها، سواء أكانت بين شعب وشعب، أم كانت بين قبيلة وقبيلة من شعب واحد.

القس: هل يمكننى أن أفهم من كلامك يا محمد أن الإسلام لا يسعى فى إنشاء دولة؟ فيكون كالنصرانية فى هذا الباب، لا يهمه إلا تهذيب الناس، وإلا أمر الآخرة وحدها.

محمد: كلا أيها القس، لو كان الإسلام كالنصرانية فى هذا لم يكن له فائدة بعدها «وإنما أتى الإسلام لتنظيم شؤون الدنيا والآخرة، فيكون دينا شاملا كاملا، وتنتهى به رسالة السماء إلى الأرض، فهو يسعى فى إنشاء دولة مثالية تكفل للناس السعادة فى دنياهم وأخراهم؛ وتحكم بينهم بالعدل، ويشمل عدلها الفقير والغنى، والضعيف والقوى، والمسلم واليهودى والنصرانى، والعربى والفارسى والرومى، ولتكن هذه الدولة بعد هذا دولة واحدة للناس جميعا، أو دولا متعددة بتعدد الشعوب، دولة للعرب، ودولة للفرس، ودولة للروم، ودولة لكل شعب من الشعوب، ولكن يجب أن تكون على نمط هذه الدولة المثالية، ليسود بينها السلام، وتجمعها رابطة الألفة والمحبة.

فلا يمنع الإسلام أن يكون للعرب دولة أو دول متعددة، ولا يمنع أن يكون للفرس دولة أو دول متعددة، ولا

يمنع أن يكون للروم دولة أو دول متعددة ، ولا يمنع أن يكون لغيرهم من الشعوب دولة أو دول متعددة ، لأنه دين عام لا يمكن أن يتأثر بظهوره بين العرب ، فيجعل الدولة فيه لهم ، ويحاول فرضهم على غيرهم من الشعوب .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب الدعوة إلى ملوك عصره ، فلم يحاول أن يسلب من واحد منهم ملكا ، وإنما دعاه إلى الإسلام لا غير ، وأبقى له ملكه إذا أسلم ، وقد تعددت كتبه اليهم ، فلم تخرج عن هذا المعنى ، ولم تطلب من ملوك العرب والفرس والروم والحبشة إلا أن يسلموا ، على أن يبقى لكل ملك منهم ملكه ، ولا يسلبه الإسلام شيئا منه .

وهذا كتابه إلى الحارث بن أبي شمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم — من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمير ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وصدق ، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لاشريك له ، يبق ملكك » .

وكان الحارث أميراً على دمشق من قبل هرقل ملك الروم ، فلم يحاول النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزع منه إمارته ، وإنما طلب منه أن يسلم لا غير ، وهكذا كانت بقية كتبه إلى أولئك الملوك .

فالدولة المثالية فى الإسلام ذات صبغة عامة ، ليست بعربية ولا فارسية ولا رومية ولا غيرها ، وليس رئيسها عربيا أوفارسيا أو غيرهما، وإنما هو مسلم من أىّ شعب كان، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا ولو أُمِّر عليكم عبد حبشى أجدع ذو زبيبة .

وقد استخلف عمر بن الخطاب بعده صُهَيبا الرومى ليصلى بالناس إلى أن يختاروا لهم خليفة ، فلم يزل يصلى بهم إلى أن اختاروا عثمان بن عَفَّان خليفة لهم ، فضرب عمر بهذا مثلا للمسلمين ، حتى يكون حكمهم سواء بين الناس ، ولا يستأثر به العرب دون غيرهم .

القس : كيف استأثر العرب بالدولة الاسلامية إلى أن انتزعت منهم ؟ وهل كان هذا بأمر دينهم أو من أنفسهم ؟

محمد : لقد مات النبى صلى الله عليه وسلم والاسلام لم ينتشر إلا بين العرب ، فكان من الطبيعى أن يختار المسلمون خليفة لهم من بينهم ، فاختاروه عربيا بحكم انحصار الاسلام فى العرب على عهدهم . ولم يكن بينهم من غير العرب إلا أفراد يعدون على الأصابع ، مثل سلمان الفارسى ، وصُهَيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وما كان العرب ليتركوا مثل

أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ليختاروا واحداً من هؤلاء الأفراد ، لأنه لم يكن لهم مثل صلاحيتهم للحكم ، ولم يكن عندهم كفاية للنهوض بهذه الدولة الناشئة ، وكان العرب لايزالون حديثى عهد بجاهليتهم، فلم يكن من السهل خضوعهم لمثل سلمان وصهيب وبلال .

ثم توالت الأحداث، واشتبك العرب فى حروب متواصله مع الفُرْس والروم وغيرهم ، فقضت هذه الحروب بانحصار الدولة الإسلامية فى العرب، وكانت دولة بنى أمية ذات صبغة عربية خالصة ، فلما قامت الدولة العباسية بمساعدة الفرس ظهر شأنهم فيها ، وضعف شأن العرب بظهور شأنهم ، ومازال يأخذ فى الضعف حتى سقطت الدولة العباسية ، فخلفتها فى الشرق دول إسلامية غير عربية ، إلى أن ظهر شأن الدولة العثمانية التركية، فاستولت على أكثر بلاد المسلمين فى الشرق والغرب، ودان المسلمون لها من العرب وغيرهم ، لأن الحكم فى الاسلام لا ينحصر فى شعب من الشعوب ، وإنما هو لمن يرضاه المسلمون حاكما عليهم من العرب أو غيرهم .

المناظرة الثالثة عشرة

كان المتناظران قد اتفقا بعد انتهاء المناظرة السابقة على أن يكون موضوع هذه المناظرة موقف الإسلام والنصرانية من العلم والفلسفة ، فكان هذا سببا فى أن كثيراً من ذوى الثقافة العالية سبقوا إلى سماع هذه المناظرة ، ليعرفوا موقف الدين من العلم والفلسفة عموما ، وموقف الإسلام والنصرانية من العلم والفلسفة خصوصاً ، وقد ابتدأ القس (ز) الكلام فى هذا الموضوع ، فقال:

القس : لقد وقف الإسلام من العلم والفلسفة موقفا عدائيا ، وكان لهذا الموقف أثره فى أن المسلمين لم ينهضوا بالعلم والفلسفة كما نهضت الدول التى قامت قبلهم ، وكما نهضت الدول النصرانية فى عصرنا الحاضر ، وقد وردت فى القرآن آيات تحث على طلب العلم ، ومن هذه الآيات ما ورد فى سورة طه :

(فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

ولكن المراد من هذا علم الدين ، مثل علم الفقه وعلم العقائد ونحوهما .

محمد : أحب أن تعلم أولا أيها القس موقف الدين من العلم والفلسفة ، فإذا عرفت هذا ذكرت لك موقف الإسلام منهما ، وموقف النصرانية منهما

إن الدين يقصد منه الوصول إلى معرفة الحق بطريق الوحى ، والعلم والفلسفة يقصد منهما الوصول إلى معرفة الحق بطريق النظر والعقل ، فهما إذن يتفقان فى الغاية ويختلفان فى الوسيلة ، واختلافهما فى الوسيلة لا يمكن أن يجعل كلا منهما يقف من الآخر موقف عداء ، لأن الغاية الواحدة قد يكون لها وسيلتان تؤديان إليها ، وقد يكون لها وسائل متعددة ، والوسائل التى تؤدى إلى غاية واحدة تتعاون فى الوصول اليها ولا تتنافر ، والدين يعترف بأن العقل وسيلة من وسائل المعرفة ، والعلم والفلسفة يعترفان بأن الوحى وسيلة لها أيضاً ، وحينئذ لا يصح أن يقف الدين موقف عداء مع العلم ، ولا يصح

أن يقف العلم والفلسفة موقف عداء مع الدين ، لا من حيث الغاية ، ولا من حيث الوسيلة .

القس : إنى أوافقك يامحمد على أن هذا يجب أن يكون موقف الدين من العلم والفلسفة ، فماهو موقف الإسلام منهما ؟

محمد : إنى أسجل عليك الآن هذه الموافقة ، وستأتى فائدة تسجيلها الآن عند بيان موقف النصرانية من العلم والفلسفة .

فأما موقف الإسلام من العلم والفلسفة فيتوقف أولا على بيان أصل كلمة (فلسفة) فى اللغة اليونانية ، ويتوقف ثانيا على بيان معناها عند الفلاسفة ، فأما أصل كلمة (فلسفة) فى اللغة اليونانية فهو يتركب من كلمتين : فيلا وسوفيا ، ومعنى فيلا إيثار أو محبة ، ومعنى سوفيا حكمة ، فيكون معنى الكلمة مركبة إيثار الحكمة أو محبة الحكمة ، وقد ترجمت إلى اللغة العربية بعد اختصارها ، فصارت إلى كلمة (فلسفة) بمعنى الحكمة ، ويقصد منها عند الفلاسفة معرفة حقائق الأشياء بقدر الطاقة البشرية .

وقد نوّه القرآن بشأن الحكمة كما نوه بشأن العلم ، فقال تعالى فى سورة البقرة :

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)

وكذلك نوه الله بشأن بعض الحكماء في القرآن ، وهو لُقْمَانُ الحكيم ، فعقد سورة في القرآن باسمه ، ونوه فيها بشأن حكمته ، فقال .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ، وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ، وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ

خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ، وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) .

ولا شك أن هذا يدخل فى قسم الأخلاق من الحكمة العملية ، وهى الحكمة التى يدخل موضوعها فى مقدور الإنسان .

وكذلك ذكر القرآن أن الله وهب يحيى بن زكريا الحكمة فى حال صباه ، فقال تعالى فى سورة مريم :

(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) .

والحكم هو الحكمة ، وكان هذا قبل أن يؤتيه النبوة ، لأن النبوة إنما تكون بعد الثلاثين فما فوقها .

وقد آتى الله بعض الأنبياء النبوة والحكمة ، فقال تعالى في سورة النساء :

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) .

ولهذا كله كانت الحكمة من ضمن ما بعث النبي صلى الله وسلم لتعليمه ، كما قال تعالى في سورة الجُمُعَة .

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) .

وهذه الآية صريحة في أنه كان مما يدخل في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم القضاء على أُمِّيَّة العرب ، لتكون منهم أمة متعلمة تقرأ وتكتب ، وتعرف علوم الدين والدنيا ، لأن تعليمهم الكتاب إشارة إلى علوم الدين ، وتعليمهم الحكمة إشارة إلى علوم الدنيا ، ولهذا أوتيها يحيى وهو صبي قبل أن يكون نبياً ، وهذا صريح أيضاً في أن علم الحكمة له طريق آخر غير طريق الوحي ، وهو طريق النظر والعقل ،

لأن يحيي أوتيها قبل أن يتصل بالوحي ، فلم تكن حكمته قبله بطريقه ، وإنما كانت بطريق العقل والنظر .

وبهذا لا يكون موقف الإسلام من العلم والفلسفة موقف عداء ، بل تكون الحكمة غايته المطلوبة ، وضالته المنشودة ، ولهذا ورد في بعض الآثار : الحكمة ضالة المؤمن يطلبها أنىّ وجدها . ومعنى هذا أنه يطلبها من أىّ شخص كان ولو كان كافرا ، وفي أى بلد كان ولو لم يكن من بلاد الإسلام ، ومع هذا لا تكون الحكمة علم الدين ، لأن علم الدين لا يطلب على هذا النحو . ولا يؤخذ إلا على وجه خاص .

القس : إذا كان هذا موقف الإسلام من الفلسفة ، فلماذا حاربها بعض فقهائكم ؟

محمد : لقد حارب بعض الفقهاء الفلسفة الخاطئة التي لا تقوم على النظر الصحيح ، لأنها لا تؤدى إلى الغاية التي يؤدى إليها الدين ، بل تخالفه في الغاية ، وتصير بصاحبها إلى الجهل المركب ، فيظن نفسه عالما وهو غير عالم ، وهذا شر أنواع الجهل ، وقد حارب بعض الفقهاء الفلسفة جهلا بها ، وجهلا بحقيقة الاسلام ، ومثل هؤلاء الفقهاء لا يصح أن يحتج بهم على ديننا .

القس : هل يخالف موقف النصرانية من العلم والفلسفة موقف الاسلام منهما؟

محمد : نعم يخالف موقف النصرانية من العلم والفلسفة موقف الاسلام منهما ، لأنه ليس فى الاسلام مايخالف بدائه العقول ، وليس فيه مايخالف الفطر السليمة ، أما النصرانية فإن عقائدها من التثليث والصلب والفداء تؤخذ بالتسليم ، وتستعصى على البحث والنظر ، فلا يمكن إلا أن تقف موقف العداء من العلم والفلسفة ، لأن الفلسفة تؤمن بالبحث ، وتعتمد على النظر .

القس : هذا الكلام لايكفى فى بيان موقف النصرانية من العلم والفلسفة ، وإنما يكفى فى بيان موقفها منهما نصوص من التوراة أو الإنجيل تكون صريحة فى ذلك ، وتدل على أن موقف النصرانية من العلم والفلسفة موقف عداء ، لا موقف وفاق

محمد لو انتظرت أيها القس الفاضل لذكرت لك هذه النصوص التى تطلبها ، وإنى أنقل لك من هذه النصوص ماجاء فى كتاب (أضرار تعليم التوراة والإنجيل) وهو من تأليف تشارلس وطس ، وقد نقله من الانجليزية إلى العربية عبد الوهاب سليم التنير .

فقد جاء فى هذا الكتاب أنه جاء فى التوراة (الحكمة هى الأصل فخذوها) ثم جاء فيها (بالحكمة الكثيرة كرب

عظيم ، ومن يكثر الحكمة يكثر حزنه) ثم ورد فيها أيضا (حكمة العالم جهل) فهذا من العهد القديم .

أما العهد الجديد فقد جاء فيه من رسالة لبولس (لأنه مكتوب : سأبيد حكمة الحكماء ، وأرفض فهم الفهماء) .

وكذلك جاء فى الأصحاح الثانى من رسالة بولس إلى أهل كولوسى (أنظروا ألا يكونَ أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس ، حسب أركان العالم ، وليس حسب المسيح) .

وليس هناك أقسى من هذه النصوص على العلم والفلسفة ، ولا شك أن هذه النصوص هى التى أوحت إلى آباء الكنيسة فى القرون الوسطى إنشاء محاكم التفتيش ، وكانت أقسى محاكم عرفها التاريخ ، وكم حكمت بالقتل والسجن والتعذيب على من ثبت اشتغاله بالعلم والفلسفة ، ومن حكمت عليه بذلك جاليلو العالم الفلكى ، لأنه ذهب إلى أن الشمس مركز العالم لا الأرض

القس : لقد ذكرت يا محمد أن بعض رجال الدين عندكم حارب العلم والفلسفة جهلا بهما ، فلماذا لا يكون هذا عندنا من جهل زعماء النصرانية فى القرون الوسطى ؟

وها هى ذى أمم النصرانية فى أوربا وأمريكا تشتغل الآن

بالعلم والفلسفة ، ولا تجد من زعماء النصرانية من ينكر عليها ، أو يحارب المشتغلين منها بالعلم والفلسفة ، كما كان يحاربهم فى القرون الوسطى .

محمد : لا يمكن أيها القس الفاضل أن يقاس ماقام به زعماء النصرانية بما قام به بعض رجال الدين فى الإسلام ، لأنا فى الاسلام أمام نصوص تُنَوِّه بشأن الحكمة ، وتحث على النظر فيها ، لأنها وسيلة من الوسائل التى توصل إلى الحقيقة ، فيؤجر فيها المصيب ، ويعذر فيها المخطىء ، ويجب أن يكون الأمر فيها للإقناع بالدليل ، فإذا جاوز بعض رجال الدين فى الإسلام هذا الحد يكونون جاهلين بموقف دينهم من العلم والفلسفة ، ولا يمكن أن يؤخذ الإسلام بجهلهم .

أما زعماء المسيحية فى القرون الوسطى فكانوا أمام نصوص من التوراة والإنجيل تحذر من الاشتغال بالحكمة ، لأنه يورث المشتغل بها كربا عظيما ، ويكثر من حزنه وآلامه ، ثم تصف حكمة العالم بأنها جهالة ، وتحث على إبادة حكمة الحكماء ، وعلى رفض فهم الفهماء ، فلا يمكن مع هذا أن يكون موقفهم من العلم والفلسفة عن جهل بدينهم ، ولا أن يكون شأنهم فى هذا كشأن بعض رجال الدين فى الإسلام وموقفهم العدائى منهما .

وأما أمم النصرانية في عصرنا فلا يمكن أن يحتج بها على موقف النصرانية من العلم والفلسفة ، ولا أن يحتج بموقف زعماء المسيحية من اشتغالها بهما ، لأنها لم تتمكن من هذا إلا بعد أن غلبتهم على أمرهم ، وقضت على نفوذهم وسلطانهم ، وحكوماتها الآن حكومات مدنية لا يحتج بعملها في الدين ، ولا يبين موقفها من العلم والفلسفة حقيقة موقف النصرانية منهما ، لأنها لا تحسب على النصرانية ، أما الإسلام فقد ناصر علوم الفلسفة من ملوكه من يحسب عليه ، كالمأمون من العباسيين ، ويوسف بن عبد المؤمن من الموحدين ، ولا يصح مع هذا أن يدعى أن المسلمين لم ينهضوا بها كغيرهم .

المناظرة الرابعة عشرة

كان موضوع هذه المناظرة بحث مسألة المعاد، وما جاء في القرآن من الأوصاف الحسية للثواب والعقاب، فلما أخذ محمد والقس (ز) مجلسهما ابتدأ القس فقال:

القس: يا محمد، نحن نرى أن نعيم الآخرة وعذابها روحيان، وهذا يوافقنا عليه أهل العلم والفلسفة قديما وحديثا، لأن النعيم الروحي هو النعيم الكامل الذي يليق بأمر الآخرة، والنعيم المادي نعيم ناقص لا يعد نعيما لدى أرباب الكمال، ولا يعد في شيء من السعادة لدى النفوس الفاضلة، وإنما السعادة عندها في العلم والمعرفة، وفي الوصول إلى جناب الحق الأعلى.

أما القرآن فقد جعل نعيم الآخرة وعذابها حسيين، فجعل في الجنة أكلا وشربا، وجعل فيها أنهارا من عسل وخمر، ولا أدري كيف يحرم الخمر في الدنيا ويبيحها في الآخرة؟

وقد ورد هذا الوصف فى سورة محمد :

(مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) .

فما هى هذه الأنهار فى الجنة ؟ ومن أين تبتدىء ؟ ومن أين تنتهى ؟ وما فائدتها فيها ؟

وكذلك ورد فى القرآن أن فى الجنة حُوراً عِيناً يتمتع بهن أهلها ، كما جاء فى سورة الرحمان :

(فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيَامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

وكذلك ورد فى القرآن أن فى الجنة مجالس شراب ، وولدانا يطوفون على الشاربين ، كما جاء فى سورة الإنسان :

(وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ، عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً) .

فما مجالس الشراب فى الجنة ؟ وما طواف أولئك الولدان بالشراب فيها ؟ وهل يليق هذا اللهو بها كما يليق فى الدنيا ؟

محمد : مهلا أيها النفس الفاضل ، لقد سلكت مسلكا خطابيا لا يفيد شيئا فى مقام المناظرة ، وينهار صرحه أمام النظر الصحيح ، والبرهان الذى يعتمد على اليقين ، ولا يتأثر بمثل ماذكرت من الخطابيات .

لقد ذكرت أن نعيم الآخرة وعذابها حسيان فى الإسلام لا روحيان ، والحقيقة أن النعيم والعذاب فى الإسلام للجسم والروح معا ، وأن هذا مذهب جمهور المسلمين ، وليس مذهب المسلمين جميعاً ، لأن من فلاسفة المسلمين ومتصوفيهم من يرى أن المعاد روحانى لا جسمانى ، وأن النعيم والثواب فى

الآخرة للروح لا للجسم ، ويرى أن الأوصاف الحسية التى وصف القرآن بها نعيم الآخرة وعذابها يقصد بها التمثيل ، لأن جمهور الناس لا يصل إدراكه إلى نعيم أو عذاب روحى، فَمُثِّلَ له هذا التمثيل الحسى .

وجمهور المسلمين لا يرون مانعاً عقليا من أن يكون نعيم الآخرة وعذابها للروح والجسم ، ولكنهم مع هذا يرون أن النعيم الروحى أجَلُّ شأنا ، وأرفع قدرا ، كما قال تعالى فى سورة التوبة :

(وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

فجعل رضوان الله وهو من أمر الروح أكبر مما قبله من النعيم الجسمانى ، وهذا هو الذى يليق بدين سلك مسلك الاعتدال بين مطالب الروح والجسم ، ولم يغلب مطالب الروح على مطالب الجسم كما فعلت النصرانية ، لأنها ديانة زهد وتقشف ورهبانية، فلما سلكت هذا المسلك فى الدنيا حملت عليه أمر الآخرة ، وجعلت الروح كل شىء فى الإنسان دنيا وأخرى ، وهذا

خروج عن حد الاعتدال ، والخروج عن حد الاعتدال غير محمود .

القس : هل تنكر أيها الفتى أن السعادة الحقيقية هى السعادة الروحية ؟

محمد : الذى أراه أيها القس الفاضل أن السعادة الروحية هى السعادة الكاملة ، ولا أرى ماتراه من أنها هى السعادة الحقيقية، لأن السعادة توجد فى غيرها ، ولكنها سعادة ناقصة لا كاملة ، ومن الناس من لا يصل إدراكه فى الدنيا إلى السعادة الروحية ، فتكون لذته فيما يتعلق بقوتى الشهوة والغضب ، لا فيما يتعلق بالقوة الناطقة ، ومثل هذا لا يمتنع عقلا أن يكون موجودا فى الآخرة ، لأن النفوس تتفاوت فيها كما تتفاوت فى الدنيا ، وكل نفس منها تمثل فى الآخرة حال صاحبها ، وتطلب فيها ما كانت تطلبه فى دنياها ، ولو كانت كل النفوس فى الآخرة على حال أكملها لصح أن يكون نعيمها روحيا ، ولكن هذا غير صحيح ، وإنما الصحيح أن كل نفس تبعث على حالها فى دنياها ، لتلقى نعيمها أو عذابها على قدر حالها ، وتجد من النعيم ماتطلبه لجسمها أو روحها ، لأنها إذا لم تجد من ذلك ماتطلبه تألمت لحرمانها منه ، والجنة دار نعيم

لا ألم فيها ولا حرمان، ولهذا جعل الله فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، حتى تجد كل نفس ما تشتهيه ، ولا يدركها ألم بالحرمان منه .

القس : إن النفس قد تشتهى مالا يجوز لها أن تشتهيه ، فهل تجده فى الجنة إذا اشتهته ؟

محمد : إن النفس التى تشتهى مالا يجوز لها تكون فى النار لا فى الجنة ، ولا يوجد فى الجنة إلا النفوس الطيبة التى لا تشتهى إلا ما يجوز لها .

القس : فكيف تكون فى الجنة مع هذا مجالس خمر ،

محمد : كلا أيها القس الفاضل ، ليس فى الجنة مجالس خمر وليس فيها مجالس لهو ، وليست خمر الجنة إلا خمرا بالاسم ، لأنها تشبه خمر الدنيا فى اللون ، أو فى كونها مثلثا من عصير العنب ، ولكنها لا تسكر كما تسكر خمر الدنيا ، وإنما ذمت خمر الدنيا لإسكارها ، لا للونها ولا لكونها من عصير العنب ، وإذا لم يكن فى خمر الجنة إسكار لم يكن فيها إثم ، ولم يكن فى مجالسها لهو ، وقد قال الله تعالى فى سورة الواقعة :

(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ) أى لا تصدع رؤوسهم من شربها كما تصدع

الرؤوس من خمر الدنيا ، ومعنى لا ينزفون أنهم لا ينفد شرابهم، وقد قرىء بفتح الزاى ، فيكون معناه أنهم لا يغلبون على عقولهم ولا يسكرون منها ، وعلى هذا يكون تأكيداً لمعنى ماقبله، أو يكون قوله (لا يصدعون عنها) بمعنى لا يتفرقون عنها

وقد ورد هذا أيضا فى سورة الطُّور :

(وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ)

على أنك أيها النفس الفاضل تبالغ فى شأن خمر الجنة التى لا إثم فيها ، وتنسى أنكم لا تحرمون خمر الدنيا، وهى الإثم كلُّ الإثم ، بل تبيحونها لعامَّتكم وخاصَّتكم ورؤساء دينكم ، فلا يشترط بولس فى الشمامسة إلا أن يكونوا غير مُولَعِينَ بالخمر الكثير ، كما قال فى الأصحاح الثالث من رسالته الأولى إلى تيمُوثاوُسَ (كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار لا ذوى لِسَانَيْنِ غير مُولَعِينَ بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح) ثم يقول بعد هذا فى الأصحاح الخامس من هذه الرسالة (لا تكن شرَّاب ماء بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة).

وجاء أيضا فى الأصحاح الثانى من إنجيل يوحنا (وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ، ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر . قال لها يسوع :مالى ولك يامرأة ، لم تأت ساعتى بعد).

وجاء أيضا فى الأصحاح السابع من إنجيل لوقا :

(لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان ، جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة) .

ثم قال للقس : ولا يقتصر الأمر عندكم فى الخمر على هذا ، بل ورد فى إنجيل متى أنكم ستشربونها أيضا فى ملكوت الله ، خمراً مطلقة لم تقيد بما قيدت به خمر الجنة فى الاسلام ، من أنها لا لغو فيها ولا تأثيم ، وأن شاربيها لا يصدعون عنها ولا ينزفون .

وهذا هو ما جاء من ذلك فى الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى (وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج

السكر مما هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى) .

وهذا صريح فى أنه سيكون فى الجنة شرب خمر ، فكيف تذهبون مع هذا إلى أن نعيمها روحى لا جسمانى ؟ وكيف تتكلم أيها القس عن شرب الخمر عندنا فى الجنة بما سبق من أساوبك الساخر ؟ مع أنها ليست كخمر جنتكم ، وإنما هى خمر مجازا لا حقيقة .

وبهذا انتهت المناظرة الرابعة عشرة ، فانصرف الحاضرون على أن يحضروا غدا لسماع المناظرة الخامسة عشرة .

المناظرة الخامسة عشرة

كان موضوع هذه المناظرة قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش . وقد أراد محمد أن يحيل النفس (ز) فيها على بعض الكتب التي تناولتها بالبحث، وبينت فيها وجه الصواب ، فأخبره النفس بأنه اطلع على ما كتب في هذه القصة ، ولم يجد فيه ما يقتنع به . وأصر على أن تكون هذه المناظرة في هذا الموضوع : وقد ابتدأ فيها فقال :

النفس : يذكر الرواة عندكم أن زينب بنت جحش تزوجت زيد بن حارثة ، وكان نبيكم قد تبنّاه ، فدخل عليها ذات يوم لحاجة ، فأبصرها في درع وخمار ، وكانت بيضاء جميلة ، ومن أتمّ نساء قريش ، فوقعت في نفسه ، وأعجبه حسنها ، فقال : سبحان الله مقلّب القلوب . ثم انصرف .

فلما جاء زيد ذكرت زينب له ما سمعت من نبيكم ، ففطن له وعرف مرماه ، وألقى في نفسه كراهيتها في الوقت، فذهب

إلى نبيكم فذكر له أنه يريد فراق زينب ، فقال له : مالك ؟ أرابك منها شيء ؟ فقال : لا ، ما رأيت منها إلا خيراً ، ولكنها تتعظم علىّ بشرفها ، وتؤذيني بلسانها . فقال له : أمسِكْ عليك زوجك ، واتّقِ الله فى أمرها . ولكنه طلقها بعد هذا ، لما فطن له من أن نبيكم يريدها .

وقد نزلت فى هذا آية سورة الأحزاب :

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً) .

محمد : أيها القس الفاضل ، إن قرآننا هو أصل الأصول عندنا ، وما عداه من الأحاديث والأخبار فى ديننا لا نقبل منه إلا ما وافق هذا القرآن ، وما لم يوافقه منها فهو مردود غير مقبول ، وكل دين من الأديان قد بلى بقوم من الجهال

الذين يفهمونه على غير وجهه ، أو من المنافقين الذين يضعون فيه الأخبار الكاذبة ، ويُرَوِّجونها على أولئك الجهال ، فتروج عندهم ، ويأخذونها على أنها من الدين ، مع أن الدين برأ منها ، ومن هذا ذلك الخبر الذى يذكره بعض الرواة فى سبب نزول تلك الآية .

القس : وما هو إذن سبب نزول تلك الآية يامحمد ؟

محمد : إن قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش لا تبتدىء من طلاق زيد لها ، وإنما تبتدىء من زواجه بها ، وهذا هو الذى سيوصلنا الى الحقيقة فى أمرها ، ويظهر كذب ذلك الخبر الذى ذكرته فى سبب نزول تلك الآية السابقة .

القس : كيف هذا يامحمد ؟

محمد : كانت زينب بنت أُمَيْمة بنت عبد المُطَّلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، فخطبها لمولاه زيد بن حارثة ، وكان قد اشتراه فى الجاهلية ، ثم أعتقه وتبنَّاه ، فلما خطبها له رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه ، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أَبَتْ وقالت له : أنا ابنة عمتك يارسول الله ، فلا أرضاه لنفسى . وكذلك كره أخوها عبد الله بن جحش .

فنزل فى هذا قوله تعالى فى سورة الأحزاب قبل تلك الآية السابقة :

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) .

فما شأن زيد وزينب حتى يكون الله ورسوله هما اللذان يقضيان بزواجهما ؟ فإذا كان هذا لتشريفهما فقد كان فى المؤمنين والمؤمنات من كان أفضل منهما ، ومن كان أولى بهذا التشريف .

ولماذا يقضى الله ورسوله بزواج زينب لزيد وهى كارهة لزواجها به ؟ والزواج فى الاسلام إنما يكون عن رضا واختيار من الزوجين ، لأنه عقد من العقود بين شخصين ، ومن شرط صحة العقود أن تكون عن رضا واختيار .

ولماذا يزوج النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه المرة زيدا زينب بنت عمته أميمة ؟ وهى تعلو عليه بنسبها وشرفها فى قريش ، وقد زوجه فى المرة الأولى مولاته أم أيمن ، وهى التى ولدت له ابنه أسامة .

القس : هذه أسئلة لها قيمتها فى هذا الموضوع يا محمد ، فما هو جوابك عنها ؟

محمد : الحقيقة أيها القس أن زينب لم تكن تختار لزيد فى زواجها به ، وإنما كانت تختار لغيره .

القس : هذا أمر غير مفهوم يا محمد ، وما عهدنا إلا أن الزوجة تختار لزوجها .

محمد : الحقيقه أن زينب كانت تراد من هذا الوقت للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأنها اختيرت هذا الاختيار لتكون زوجا له بعد زيد .

القس : إذا كانت زينب تراد فى هذا الاختيار لنبيكم لا لزيد ، فلماذا لم يتزوجها من أول الأمر ؟ وأىُّ حكمة فى تزويجها لزيد أوّلا ؟

محمد : الحكمة أن الله كان يريد إبطال عادة التَبنِّى فى زيد وغيره ممن كان العرب يتبنونهم فيرثونهم كما يرثهم أبناء الصُّلْب ، وكل أسرة لها حقها فى مال المورِّث ، فلا يصح له أن يأتى بأجنبى عنها ليتخذه ابنا له ، ويحرمها من ميراثه ، فلا ترثه كما يرثها ، وهذا ظلم ظاهر ، وكذب غير مقبول فى النسب ، كما قال تعالى فى سورة الأحزاب :

(مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ ، أُدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً).

ولما كانت هذه العادة من العادات المستحكمة فى العرب، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هو البادىء بإبطالها ، فاختار زينب لزيد فى الظاهر ، وهو يختارها لنفسه فى الباطن ، لأنه كان يعلم أنها ستصير زوجا له من يوم خطبتها لزيد ، ولهذا زوجها له وهى غير راغبة فيه ، ونزل القرآن بزواجها له تمهيداً لإبطال تلك العادة ، واختيرت من ذلك النسب القريب من نسب النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما تزوجها زيد لم تحسن عشرته ، فكان يشكوها للنبي

صلى الله عليه وسلم فيأمره بإمساكها ، وهو يعلم أنها لم تزوج لزيد إلا ليتزوجها من بعده . ويبطل بتزوجها تلك العادة ، لأنه لا يجوز للأب زواج امرأة ابنه ، فإذا تزوجها بعد زيد أبطل بهذا بُنُوَّته له ، وإنما كان يأمره بإمساكها لأنه كان يخشى كلام المنـــافقين ونحوهم ، ويخاف تشنيعهم عليه فى تزوجه امرأة مُتَبَنَّاه .

القس : كيف يخاف هذا وهو يعلم أنه أمر الله ؟

محمد : هذه طبيعة بشرية لا يمكنه أن يغالبها . وهذا إلى أن زيدا كان لا يعلم ذلك التدبير ، فكان من الواجب أن يجرى تشريع الطلاق معه على عادته ، وأن ينصحه بإمساكها إلى أن ييأس من صلاح حالها معه

القس : إذا كان هذا هو الأصل فى قصة زواج زينب فماذا يفيد فى إبطال ذلك الخبر السابق ؟

محمد : أمر هذا ظاهر أيها القس الفاضل . لأنه إذا كان يعلم أنها لم تتزوج زيداً إلا ليتزوجها بعده ، لم يكن هنـاك معنى لذلك الخبر ، لأنه يفيد أنه لم يفـكر فى تزوجها إلا بعد أن نظر اليها فوقعت فى قلبه

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى زينب قبل أن يتزوجها زيد ، لأنها بنت عمته كما سبق، فلم تكن تلك الرؤية التي يقال إنها أوقعتها في قلبه أول رؤيته لها ، وقد أرادت زينب النبي صلى الله عليه وسلم لنفسها حين خطبها لزيد ، وفي هذا من الإغراء على الزواج ما هو أكثر من تلك النظرة، فلم يتأثر بإرادتها له ، لأنه يفوت التدبير الذي يراد من تزوجها أولا بزيد .

القس : هذا يا محمد فهم جديد منك لهذه القصة ، ولم أره لأحد قبلك من علمائكم

محمد . أيها القس الفـــاضل ، كم ترك الأول للآخر ، وكم في ديننا من أسرار عظيمة ستكتشفها العقول التي لا تجمد على القديم ، ولا ترضى أن تعيش أسيرة التقليد .

على أني لو سلمت لك أيها القس صحة ذلك الخبر الباطل ، لكنتم معشر النصـــارى آخر من يصح له أن يطعن به على النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنكم تنسبون إلى أنبيائكم ما هو أعظم من ذلك وأخطر ، ولم يصل الأمر في ذلك الخبر إلا أنه حصل نظر

فيل قلب فتهيئة من الله للزواج ، فاين هذا مما تنسبونه إلى داود عليه السلام ، من أنه نظر إلى امرأة أوريا فأحبها ، فلم يزل يعرض أوريا فى مواضع الخطر فى حروبه ، حتى قتل فيها وتهيأ له أن يتزوجها بعده ، ونحن ننزه داود عن مثل هذا ، ونقذره غيره من الأنبياء الذين تنسبون اليهم مثل هذا فى توراتكم وغيرها من كتبكم ، كما ننزه محمدا صلى الله عليه وسلم .

وهنا انتهت المناظرة الخامسة عشرة ، فانصرف الحاضرون ليعودوا غدا إلى سماع المناظرة السادسة عشرة .

المناظرة السادسة عشرة

كان موضوع هذه المناظرة ما كان من هجر النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا ، وهي من المسائل التي اضطرب فيها المفسرون وعلماء السيرة ، وذكروا فيها من الأخبار ما هيأ لهؤلاء المبشرين المسيحيين أن يطعنوا به في النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ابتدأ القس (ز) المناظرة في هذا الموضوع فقال:

القس : لعلك اطلعت يا محمد على ما يذكره المفسرون وعلماء السيرة في بيان سبب نزول هذه الآيات في أول سورة التحريم:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ

اللهُ عَلَيْهِ عرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ ، إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ ، عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً) .

فقد ذكر بعضهم فى سبب نزول هذه الآيات أن نبيكم كان إذا صلى العصر دخل على نسائه ، فيدنو من إحداهن ، فدخل على زينب بنت جحش فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ، فغارت عائشة بنت أبى بكر منها ، فسألت عن سبب احتباسه عندها ، فقيل لها : أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة[1] من عسل ، فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة . فاتفقت هى وحفصة على أنه إذا دخل عليهما ذكرتا له أنهما يجدان منه

(١) العكة آنية السمن أصغر من القربة

ريح مَغَافير، وهو صمغ حلو كالناطف له رائحة كريهة ينضحه شجر العُرْفُط، وهو من شجر الرِّمْضَاه، والعضاه كل شجر له شوك، فلما دخل عليهما ذكرتا له ذلك، فأخبرهما بأنه شرب عند زينب شربة عسل، فقالتا له: أكلت نحله العرفط، فحرم العسل على نفسه وأخبر حفصة بذلك، وأمرها أن تكتمه، فعاتبه الله على هذا بقوله: (لم تحرم ما أحل الله لك)

وذكر بعض آخر فى سبب ذلك أن حفصة استأذنت نبيكم فى زيارة أبيها عمر بن الخطاب، وكان هذا فى يومها، لأنه كان يقسم بين نسائه، فلما خرجت أرسل إلى جاريته مَارِيَة القبطية فأدخلها بيت حفصة وخلا بها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا. فجلست تبكى حتى خرج ووجهه يقطر عَرَقاً، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: إنما أذنت لى من أجل هذا، أدخلت أَمَتَكَ بيتى، ووقعت عليها فى يومى وعلى فراشى، فقال لها: أليس هى جاريتى قد أحلها الله لى؟ اسكتى فهى على حرام، فلا تخبرى بهذا امرأة منهن. فهذا هو ما عوتب على تحريمه على نفسه.

فكيف يحرم نبيكم العسل على نفسه لخبر كاذب ألقى إليه؟ وكيف يبنى أحكامه على هذا الكذب؟ وكيف ينزل قرآن فى هذا الخبر الذى لا قيمة له؟

وكيف يحرم نبيكم مارية على نفسه ؟ وهو الذي بعث إليها، ولم تسكن تملك أن تمنع نفسها منه ، وكيف يفعل هذا في يوم حفصة ؟ وهو من حقها وحدها ؛ ولا يصح له أن يعطي منه شيئا لغيرها إلا بإذنها .

وكيف يصل به هذا الأمر الصغير إلى أن يهجرهن شهراً كاملا ؟ وإلى أن يهددهن بالطـــلاق ليستبدل بهن أزواجا خيراً منهن ؟

وكيف يشغل المسلمين بهذا الأمر ؟ وهو سر من أسرار بيته ، وما كان يصح أن يتعدى عليه نساءه .

محمد : سأمضي أيها القس الفاضل في المناظرة معك على تسليم صحة ذينك الخبرين ، مع أن كلا منهما يخالف الآخر ، وهذا يمكننا معه أن نكون في حل من أمرهما ، ولكني سأمضي أولا في المناظرة معك على تسليم صحتهما ، ثم أبين لك بعد هذا ما يجب أن يكون هو السبب لنزول تلك الآيات .

نحن إذا سلمنا صحة ذينك الخبرين لم نجد فيهما أكثر من أن النبي صلى الله عليه وسلم أخطأ بتحريم العسل على نفسه في الخبر الأول ، وهو خطأ لا يصل إلى تحريم واجب أو تحليل حرام ، وإنما هو مباح حرمه على نفسه . وقد أعطى

الله لكل شخص الحرية فى كل مباح ، يأخذه إذا شاء ، ويمنع نفسه منه إذا شاء ، فإذا فعل هذا لغير سبب صحيح لا يعدو أمره أن يكون قد ارتكب خلاف الأولى ، ونحن لا نمنع أن يرتكب النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا ، وله حكمته الظاهرة من منع الغلو فى أمره ، لأنه يقوم دليلا قاطعاً على أنه بشر يصيب ويخطىء ، فلا نغلو فى أمره كما غلوتم فى أمر نبيكم ، ورفعتموه من مرتبة البشرية إلى مرتبة الألوهية ، وإذا تحدث القرآن عن هذا وأشباهه فى القرآن يكون له هذه الفائدة الكبيرة ، ويكون له هذه الحكمة العظيمة .

وكذلك الأمر فى الخبر الثانى ، فليس فيه إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم ظن أن حفصة ستغيب فى قضاء حاجتها ، وأنه سينتهى من مَارِيَة قبل أن تحضر إليه ، فلا تعلم شيئاً مما حصل ، وهى إنما تستحق حقها منه فى يومها مادامت قائمة فى بيت الزوجية ، فإذا خرجت منه كان فى حل من أمر نفسه ، وليس لامرأة أن تتحكم فى أمر زوجها حاضرة وغائبة ، صحيحة ومريضة ، راضية وغير راضية ، فلم يرتكب من هذا إلا ما هو خلاف الأولى . وله أيضاً حكمته السابقة ، على أن هذا الخبر مطعون فيه ، وقد جاء فى تفسير

الخازن أن قصة مارية لم تأت من طريق صحيح [١]

ثم قال للقس :

ولا أدرى كيف تأخذون مثل هذه الأمور على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وأمرها لا يخرج عن ارتكاب خلاف الأولى، وله تلك الحكمة السابقة ، وأنتم تنسبون إلى الأنبياء السابقين من الكبائر ما تنسبون ، ومن هذا ما جاء فى التوراة عن لوط عليه السلام ، فقد جاء فيها أن ابنتيه سقتاه خمراً حتى ثمل ليلتين متتاليتين ، ليقرب كل واحدة منهما ليلة ، كيما يخصبها فتلد ، مخافة فناء آل لوط ، بعد أن أنزل الله بهم من الجزاء ما أنزل .

ونحن ننزه لوطاً عليه السلام وغيره من الأنبياء عن أمثال هذه الكبائر ، وننزه كتب الله تعالى عن حكاية مثل هذا الإثم ، لأنها تشيع الفاحشة فى الناس ، وتجرئهم على ارتكاب القبائح ، ومع هذا لا ننزه الأنبياء عن ارتكاب خلاف الأولى ، لأن أمره هين عند الله ، وليس فيه من الفساد مايخشى أمره على الناس ، ولهذا جعل أمره فى الآخرة عفواً لا ثواب ولا عقاب ، ولجوازه على الأنبياء فائدته

(١) أنظر تفسير الخازن فى سورة التحريم

السابقة من دلالته على بشريتهم ، حتى لا يغالى أتباعهم فى تعظيمهم ، ولا يصل الأمر بالناس إلى تأليههم .

القس : ذكرت يا محمد أن كلا من الخبرين السابقين فى بيان سبب نزول تلك الآيات يخالف الآخر ، وأن هذا يجعلك فى حل من عدم التقيد بهما فى بيان سبب نزولها ، فهل عندك أمر آخر فى بيان سبب نزول تلك الآيات ؟

محمد : نعم عندى سبب آخر لنزول تلك الآيات ، فقد وردت آيات أخرى من سورة الأحزاب فى هجر النبى صلى الله عليه وسلم نساءه ، وفيها بيان سبب هجره لهن ، وإذا ذكر القرآن سبب هذا الهجر لم نكن فى حاجة إلى ما ذكر فى ذينك الخبرين السابقين .

وهذا هو ما ورد فى ذلك من سورة الأحزاب :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ

بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ، وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ، وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً) .

فهذه الآيات تدل على أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عَرَض الدنيا شيئا ، وطلبن منه زيادة فى النفقة ، وكان رجال قريش يغلبون نساءهم فى الجاهلية ، فلما هاجروا إلى المدينة وجدوا أهلها تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساء المهاجرين

يتعلمن من نساء أهل المدينة، حتى أخذن يراجعن أزواجهن إذا غضبوا عليهن ، وقد ساعدهن الإسلام على هذا بما رفع من شأنهن ، وبما زاد من حقوقهن ، ولم يزل هذا أمرهن إلى أن ظهر أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفتح الله له الفتوح ، وأقبلت الدنيا على المسلمين ، فأراد نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون شأنهن فى ذلك شأن أزواج الرؤساء من الملوك والأمراء ، وتطلعت نفوسهن إلى ما أقبل على المسلمين من أمر الدنيا ، فطلبن ما طلبن من عَرَضها ، وطلبن ما طلبن من زيادة فى نفقاتهن ، ليأخذن من زينة الدنيا ما يأخذن ، ويتبرجن كما كان النساء يتبرجن فى الجاهلية الأولى ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهن ، لأنه لا يملك مما فى يده شيئا ، وإنما هى أموال المسلمين ينفقها فى مصالحهم ، ولا يجوز له أن ينفقها فيما تبغى نساؤه من أمر الدنيا وزينتها ، ولأنه لا يريد لنسائه ولا لنساء المسلمين أن يتعلقن بالدنيا الى هذا الحد ، ولا أن يتبرجن فيها ذلك التبرج .

فلما غضب عليهن وراجعنه فى ذلك المرة بعد المرة هجرهن ، وأقسم لا يقربهن شهرا ، واعتزلهن فى مَشْرَبة[1] لا يقربهن ،

(١) المشربة بفتح الراء وضمها الغرفة ، وكان يرقى اليها على جذع من نخل

وكان غلامه رباح يجلس على أُسْكُفَّتها [١] فلا يدخل عليه أحد إلا بإذنه .

فهذا هو تحريمه ما أحل الله له من نسائه ، وقد عاتبه على هذا لأنه قسا به على نفسه قسوة شديدة ، فقال :

(يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ)

وكان قد فعل ذلك معهن ليحملهن على الرضا بنفقاتهن ، وعلى ترك التطلع إلى عَرَض الدنيا ، وهذا معنى قوله :

(تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ)

ولعله أَسَرَّ إلى بعض أزواجه ما يكون من الفتن بين المسلمين بسبب التطلع إلى الدنيا ، وهذا قوله :

(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً)

وكانت عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب هما اللتان أثارتا هذه الحركة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، لمكان أبويهما منه ، ولما كان لعائشة من الدالة عليه من بين نسائه ، وهذا قوله :

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما)

---

(١) الأسكفة العتبة .

فلم يكن الأمر فى هذا أمر عسل حرمه على نفسه ، ولا أمر مَارِيَةَ إن صح أمرها ، ولا أمر غيرة نسائه عليه ، وإنما كان أكبر من هذا كله ، لأنه كان أمر نسائه يردن أن يوسع لهن فى أموال المسلمين ، ويردن أن ينحرفن بالإسلام عن طريق الاعتدال فى أمر الدنيا حين أخذت تقبل عليهن ، والإسلام إذا أمر بالاعتدال فى أمر الدنيا كان أمره تشريعا عامًّا ، يأخذ به المسلمون فى كل زمان ، ويعملون به فى كل الأحوال ، ولو أقبلت عليهم الدنيا كل الإقبال ، ومثل هذا يستحق أن ينزل فيه قرآن ، وأن يكون درسا قرآنيا يقرؤه الناس فى كل زمان .

فلما انقضى الشهر بدأ النبي صلى الله عليه بعائشة فقال لها : إنى ذاكر لك أمرا ، فلا عليك ألاَّ تعجلى حتى تستأمرى أبويك ، ثم قرأ :

(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) حتى بلغ إلى قوله (عَظِيمًا)

فقالت : أفى هذا أستأمر أبوىّ ؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

ثم فعل مثل هذا مع غيرها فأجبته بمثل ما أجابته .

فكان هذا درساً عظيماً حفظ الإسلام من الانزلاق فى طريق الترف الذى قتل الأمم قبله ، لأنه يجر إلى الفسق والفجور ، ويؤدى إلى نشر الفقر والمرض بين الأمم ، وهما من أهم عوامل فنائها ، ولهذا قال الله تعالى فى سورة الإسراء :

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .

وبهذا انتهت هذه المناظرة ، فانصرف الحاضرون على أن يعودوا غداً لسماع المناظرة السابعة عشرة .

المناظرة السابعة عشرة

فكر القس (ز) فى أمره مع فتانا محمد ، وفى أنه إلى هذه المناظرة لم يمكنه أن يتغلب عليه فى كل ما أورده عليه من الاعتراضات ، مع أنه هو وأمثاله من المبشرين المسيحيين قد أفنوا أعمارهم فى جمعها من هنا وهناك ، وكانوا يبنون عليها ما يبنون من تشكيك المسلمين فى دينهم ، ليتمكنوا من جذبهم إلى نصرانيتهم ، فأراد أن يأتى محمد من ناحية ظن أنه يتغلب فيها عليه ، فقال له :

القس : أريد أن أسألك يا محمد : هل الخداع يعد من الرذائل أو يعد من الفضائل ؟

محمد : الخداع فى ذاته من الرذائل ، وهذا سؤال جوابه ظاهر ، فما تريد منه أيها القس الفاضل ؟

القس : لقد ذكرت يا محمد فيما سبق أن دينكم لم يقم بالسيف ، ولكنه إذا كان لم يقم بالسيف فإنه كان لا يتحرج من الخداع فى نجاح أمره ، فيستبيح من هذه الرذيلة ما يستبيحه

أهل الدنيا فى نجاح أمورهم ، والدين يجب أن يتم أمره بالصراحة ، وهو أكبر من أن يحتاج إلى مثل هذه الوسيلة ، وقد بلغ من استباحتكم للخداع أن استبحتم فى قرآنكم وصف الله تعالى به ، وقد ورد فى هذا من سورة النساء :

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)

وقد ذهبتم فى هذا إلى أن وصفتم الله تعالى بالمكر فى قرآنكم، كما جاء فى سورة الأنفال :

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

محمد — ليس ماورد فى الآيتين من وصف الله بالخداع والمكر، وإنما هو نوع من البديع يقال له المُشَاكَلَة ، وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ، فمعنى قوله فى الآية الأولى (وهو خادعهم) أنه مجازيهم على خداعهم، ومعنى قوله فى الآية الثانية (ويمكر الله) أنه يجازيهم على مكرهم ،

وقد أطلق على الأول لفظ الخداع وعلى الثانى لفظ المكر ليشاكل كل كُلٌّ منهما ما قبله ، والمشاكلة من محسّنات الكلام ، وهى من الأساليب المقبولة فى اللغة العربية .

القس — ولكن نبيكم قال : الحرب خدعة . وكان يخادع أولئك المنافقين كما كانوا يخادعونه .

محمد — إن الحرب يجوز فيها مالا يجوز فى السلم ، يجوز فيها قتل النفس ، والاستيلاء على مال الناس من غير مقابل ، والخداع أهون أسلحتها ، وقد يكون سببا فى حقن دماء المتحاربين ، كما حصل فى غزوة الأحزاب ، فإنه أمكن بالخداع فيها صرف المشركين عن حصار المدينة ، فحقن به دماء أهلها ، كما حقن دماء أولئك المشركين ، ورُبَّ شر يأتى بالخير ، كالكذب يصلح الرجل به بين متخاصمين ، أو يدفع به عن نفسه ، والشر الذى يأتى بالخير لا يكون شرا مذموما ، بل يأخذ حظه من القبول بقدر ما يوصل إليه ، وفى هذا تختلف سياسة الإسلام عن سياسة مكيافيلى الإيطالى ، فالغاية عند هذا السياسى تُبرِّر الوسيلة ، ولو لم تكن الغاية فى شىء من الحق ، أما الإسلام فلا تقبل الوسيلة عنده إلا إذا كانت غايتها شريفة .

وماذا يضير الإسلام إذا أجاز استعمال الخداع فى الحرب وحرمه فى السلم ؟ فأوجب على النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد نَبْذَ عهد قوم أن يعلنهم بنبذه . وحرم عليه أن يحاربهم قبل هذا الإعلان ، فقال فى سورة الأنفال :

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)

وماذا يضيره إذا أجاز استعمال الخداع فى الحرب ؟ وقد أوجب على النبى صلى الله عليه وسلم أن يجنح للسلم إذا جنح أعداؤه لها ، ولو كانوا يريدون بها خداعه ، فقال فى سورة الأنفال :

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) .

أما المنافقون فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يخادعهم كما كانوا يخادعونه ، وإنما كان يقبل منهم خداعهم ونفاقهم فى إسلامهم ، فيكتفى بما يظهرونه من الإسلام ، ولا يؤاخذهم

فى الدنيا بما يبطنونه من الكفر ، ولكنه كان يذمهم أقبح ذم ، ويجعل عقابهم فى الآخرة أشد عقاب ، كما قال تعالى فى سورة النساء :

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيماً) .

وقد كان يذمهم ذما عاماً باسم المنافقين ، فلا يصرح بأسمائهم ولا يذم منهم شيئا آخر غير نفاقهم ، وكان يكتفى بهذا فى زجرهم عن النفاق ، ولا يتجسس على عقائدهم ليعاقبهم على ما يسرونه فى أنفسهم ، لأنه لا يقر التجسس على العقائد ، وليس فيه محاكم تفتيش كما كان فى النصرانية ، ولا شك أن معاملة الإسلام للمنافقين على هذا النحو ليس من الخداع فى شىء ، وإنما هى معاملة كريمة تليق بسماحته ، وترفع بين الأديان قدره .

القس : كيف تدعى يا محمد أن الإسلام لا يجيز أخذ الناس بالخداع فى السلم ، وقد كان نبيكم يحرض أتباعه على اغتيال

بعض الناس فى بيوتهم ، فكانوا يأخذونهم بالخداع والحيلة حتى يأمنوا لهم ، فإذا أمنوا جانبهم اغتالوهم .

ومن هذا ماجرى لكعب بن الأشرف اليهودى ، فقد حرض نبيكم محمد بن مَسْلَمَة على اغتياله ، فاختار محمد نفرا يساعدونه ، وكان كعب يقيم فى حصن منيع خارج المدينة ، فذهبوا إلى نبيكم قبل أن يمضوا إلى اغتياله ، فقالوا له : يارسول الله ، لابدَّ لنا أن نقول . فقال لهم : قولوا مابدا لكم . فاستأذنوه أن يكذبوا على كعب ليحتالوا عليه ويخدعوه ، ليمكنهم أن يدخلوا عليه حصنه ويغتالوه ، فأذن لهم أن يأخذوه بماشاءوا من الكذب والخداع ، فذهب محمد إلى كعب فقال له : إن هذا الرجل — يعنى نبيكم — قد سألنا صدقة ، ونحن مانجد ما نأكل ، وإنه قد عَنَّا نا ، وإنى قد أتيتك أستسلفك . فقال كعب له : وأيضا والله لتملُّنَّه . فقال محمد : إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أىِّ شىء يصير شانه ؟ فقال كعب : ألم يأنِ لكم أن تعرفوا ماانتم عليه من الباطل ؟ فلم يزل به محمد حتى رضى أن يرهنه سلاحه على أن يسلفه وَسْقاً أو وسقين ، وكذلك فعل الذين تآمروا معه على اغتياله ، وكانوا يريدون من رهن السلاح ألاّ ينكرَه عليهم إذا أتوا ليغتالوه ،

ثم أتوا إليه ليلا فنادوه فنزل إليهم ، فتحدثوا نحو ساعة ، ثم طلبوا منه ان يخرج معهم إلى شِعْبٍ قريب من حصنه ليتحدثوا به بقية ليلتهم ، فخرج معهم حتى بعدوا به عن حصنه فاغتالوه، ثم جزّوا راسه فحملوه فى مخلاة كانت معهم إلى نبيكم.

وليت أمر نبيكم وقف عند حد أخذ الرجال بالخداع فى السلم ، بل تعداه إلى اغتيال النساء أيضاً، كما اغتال عصماء بنت مروان ، وكان الذى اغتالها عُمَير بن عوف ، وقد ذهب اليها فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها ، وكان حولها نفر من ولدها ينام ، ومنهم من ترضعه ، وكان عمير ضعيف البصر ، فجسها بيده فوجد صبيها يرضعها ، فنحّاه عنها ، ثم وضع سيفه فى صدرها حتى أنفذه من ظهرها .

محمد : إن كعباً وعصماء كانا يقيمان حرباً على الإسلام ، فلم يكونا مسالمين حتى تنتقد أخذهما بالخداع ، وذلك أن كعباً أبى أن يدخل فيما دخل فيه اليهود من عهد المسلمين ، وجعل يجاهر الإسلام بالعداء ، ويحرض القبائل على قتاله ، لتبقى على جاهليتها وشركها ، متنابذة متفرقة ، يقتل بعضها بعضاً ، وينهب بعضها بعضاً ، ولا تنهض بهذا الدين الذى يوقظها من غفلتها ، ويقضى على أطماع أمثاله الذين استغلوا

جهلها فى نهب أموالها بالربا الفاحش ، وغيره من وجوه الكسب الآثم ، فلا حرج على الإسلام فى أن يقضى على مثل هذا الرجل الذى يحاول قتل أمة بأسرها ، ليقيم له ثروة على أشلائها ، ويتنعم بفقرها وشقائها ، فليذهب كعب ليحيا شعب ، وليذهب غيره من كل جبار عنيد ، يرى فى صلاح حال الناس خطراً على نفسه ، لأنه لا يعرف إلا مصلحته .

وكذلك كانت عصماء بنت مروان ، كانت تعيب الإسلام ، وكانت تحرض على النبي صلى الله عليه وسلم

القس : إذا كان كعب قد ارتكب جريمة التحريض على الإسلام ، فإنه كان الواجب أن يحاكم عليها ، لا أن يغتال بذلك الشكل .

محمد : كيف يحاكم المحارب أيها القس الفاضل ؟ إن المحاكمة إنما تكون لمن يذعن للحاكم ، ويعترف بسلطان له عليه ، وكعب لم يكن يذعن للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن معترفاً بسلطان له عليه ، فلو حاكمه لكان حكمه عليه منتقداً ، لأنه لا يقبل حكم عدو على عدوه .

القس : إذا لم تكن محاكمة كعب ممكنة فإنه كان الواجب أن يؤخذ علنا ، وما كان يصح أن يؤخذ بالخداع كما أخذ

محمد : إذا كان كعب محاربا فإنه يؤخذ بأى طريق يمكن ، وقد كان الطريق الذى أخذ به أسلم وأنسب للعهد الذى كان بين المسلمين وغيره من اليهود ، لأنه لو حورب علنا لقابل الحرب بالحرب ، ولحمل هذا بعض اليهود على أن ينضم اليه ، فينتقض ذلك العهد الذى حقنت به دماء الفريقين ، وتذهب فى ذلك دماء كثيرة لا يعلمها إلا الله .

أما اغتيال كعب بذلك الشكل فإنه يجعل اليهود أمام أمر واقع ، وهى سياسة حكيمة تهون ذلك الأمر على أصحابه ، وتسهل عليهم الرضا به ، فلا تقوم به حرب ، ولا ينتقض به عهد ، ولاسيما أن من يغتال لا يقر باغتياله ، فتذهب فى ذلك الظنون ، ولا يعرف من اغتال بيقين .

القس : لا شك أن هذه سياسة إنسانية ، وليست فى شىء من الوحى الإلهى ، والأنبياء يأخذون أمورهم بوحى الله لهم ، ولا ينفردون بشىء قد يخطئون فيه .

محمد : نعم هذه سياسة إنسانية أيها القس الفاضل ، وقد ذكرت لك فيما سبق أنه لا بد أن يتصرف كل نبى فى بعض أحواله كإنسان ، ليكون هذا دليلا على أنه لم يخرج برسالته

من أن يكون بشراً ، فلا يغلو اتباعه فى أمره ، ولا يعتقدون فيه أنه إله أو ابن إله .

ويجب ان تعرف بعد هذا ايها النفس الفاضل أن استعمال الخداع فى الاسلام لم يكن إلا عند الضرورة القصوى ، وهى حوادث معدودة لا تجاوز أصابع اليد .

ثم قال له :

فلتكتف بهذا القدر فى هذه المناظرة ، لننتقل منها إلى المناظرة الثامنة عشرة .

المناظرة الثامنة عشرة

أراد القس (ز) فى هذه المناظرة أن يضرب آخر سهم فى كنانته ، وظن أنه يأخذ به محمدا وينتصر عليه ، فلما عجز عن إدراك غايته منه فى كل المناظرات السابقة، ستعان عليه هذه المرة بما جاء فى كتاب (تنوير الأفهام فى مصادر الإسلام) للدكتور سنكلير تسدال ، ليثبت له أن الإسلام دين مُلفَّق من بعض عادات العرب فى الجاهلية، ومن بعض شرائع الصابئة وغيرها من الديانات القديمة، وليس منزلا من عند الله تعالى، وقد ابتدأ المناظرة فقال :

القس : سأقيم لك يامحمد الدليل القاطع على أن أكثر القرآن وأغلب شرائعه مأخوذ من الأديان الأخرى، ومن الكتب التى كانت موجودة فى أيام نبيكم ، ولا تزال موجودة فى أيامنا .

محمد : هات ما عندك من هذا أيها القس الفاضل ، فإن

غايتنا إنما هي معرفة الحق، ولا غاية لنا سواه من هذه المناظرات

القس : إن الإسلام أخذ كثيراً من عادات العرب في جاهليتهم ، فجعلها شرائع منزلة من الله تعالى ، ومن هذا أنهم كانوا لا ينكحون الأمهات والبنات ، وكان أقبح شيء عندهم الجمع بين الأختين ، وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ، ويسمونه الضَّيْزن ، وكانوا يحجُّون البيت ، ويعتمرون ، ويُحْرِمون ، ويطوفون ، ويسعون ، ويقفون المواقف كلها ، ويرمون الجمار ، ويغتسلون من الجنابة ، وكانوا يداومون على المضمضة ، والاستنشاق ، وفرق الرأس ، والسواك ، والاستنجاء ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والختان ، وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى ، إلى غير هذا مما أخذه الإسلام عنهم

محمد : ليس هذا في شيء من الإنصاف أيها القس الفاضل ، فهل كنت تنتظر من الإسلام أن يترك هذه العادات الحسنة؟ لئلا يقال عنه بغير حق أنه أخذها من العرب ، ثم جعلها شرائع منزلة ، أما إنه لو تركها إلى ما يخالفها لم يكن شرعاً منزلا ، لأن الشرع المنزل يقر ما يقره غيره من الحسن ،

ويرفض مايرفضه غيره من القبيح ، ولو فعل خلاف هذا كان جهلا ، ولم يكن شرعا منزلا .

لقد كان العرب يعبدُون الأصنام ، ويئدون البنات ، ويعيشون عيشة كلها جهل وآثام ، فلم يقر الإسلام شيئا منها ، وأقر تلك العادات القليلة المستحسنة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق . فمن وظيفته أن يقر ما كان حسناً منها قبله ، وأن يدعو إلى ما بعث به من الأخلاق الكريمة الجديدة ، حتى يكمل الجديد نقص القديم ، ولا تضيع ثمرة الأخلاق الفاضلة فيما يطغى عليها من الرذائل ، ولا يحتجب نورها فى ظلام المفاسد .

القس : لقد دعا جماعة من حنفا ، العرب إلى مثل مادعا إليه نبيكم من التوحيد وغيره ، ولم يَدَّعُوا أنهم يوحى اليهم كما ادعى ، وقد اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، فخلص منهم أربعة نفر نَجِيّاً : وَرَقَة بن نوفل ، وعُبَيْد الله بن جحش ، وعثمان بن الحُوَيرث ، وزيد بن عمرو بن نُفَيل . ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعض ، تعلَّموا والله ماقومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ماحجر نطيف به ؟ لا يسمع ولا يبصر ،

ولا يضر ولا ينفع ، ياقوم ، التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ماانتم على شيء .

فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم ، فأما ورقة فأخذ بالنصرانية ، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه حتى أدركه الإسلام فأسلم ، ثم هاجر إلى الحبشة فتنصر بها ، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم فتنصر ، وأما زيد بن عمرو فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب إبراهيم . وبادى قومه بعيب ماهم عليه .

فعن هؤلاء الحنفاء أخذ نبيكم دعوته ، وقد كان معاصرا لهم ، وكان بينه وبين بعضهم قرابة ، ثم ادَّعى من الوحى فيها مالم يدَّعوه لأنفسهم

محمد : شتَّانَ بين دعوة نبينا ودعوة هؤلاء الحنفاء ، لقد كانوا يبحثون عن دين إبراهيم ، وينظرون فى هذا إلى الماضى ، ولا ينظرون إلى الحاضر والمستقبل ، فلم يكن عندهم اتجاه إلى دعوة جديدة ، ولا تفكير فى دين جديد ، ولهذا فنع ثلاثة منهم بالنصرانية ، ووجدوا فيها مايكفى هذه الغاية

القريبة ، ويرضى هذه الرغبة المحدودة ، أما رابعهم وهو زيد بن عمرو فرضى بما أمكنه أن يصل إليه من دين إبراهيم ، على ما أداه إليه اجتهاده ، والاجتهاد يقوم على الظن، ولا يصل إلى اليقين ، ولهذا كان يقول لقومه : يامعشر قريش، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ، ماأصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى . ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه احب إليك عبدتك به ، ولكننى لاأعلمه . ثم يسجد على راحته .

فأين هذا من تلك الدعوة الجديدة التى قام بها نبينا ؟ وأين هذا من ذلك الدين الجديد الذى هَزَّ العالمَ من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه ، وقَوَّض ممالك كسْرى وقَيْصر ، وتضاءلت أمامه الأديان القديمة كلها، وانهزم أمام تجديده جمودها.

لقد اقتصرت دعوة زيد بن عمرو على هذه الأمور :

١) رفض عبادة الأصنام
٢) الإقرار بوحدانية الله
٣) الإيمان بالثواب والعقاب
٤) منع واد البنات

فأين هذه الأمور الأربعة من ذلك البحر الخِضَمِّ من التشريع ، فى العقائد ، وفى العبادات ، وفى المعاملات ؟ ذلك

التشريع الذى غالب تشريع الرومان فغلبه ، وغالب فلسفة اليونان فغلبها ، وغالب العصور فلم تَسْتَوْلِ عليها جدَّته .

فهل كان هذا كله يتسنى لرجل أُمِّىٍّ فى بيئة أُمِّيَّة ؟ كلا ثم كلا : إنه ليس إلا الوحى الإلهى الذى وصل به إلى هذا كله ، وجعله يقصد بدعوته العالم كلَّه ، وهو لا حول له ولا قوة ، وليس لأمته من الدولة ما لغيرها من الأمم .

القس : لقد كان يوجد بين العرب طائفة من الصابئين ، وأصل الصابئين من السُّريان ، وهم يدعون أن ملتهم مأخوذة عن شيث وإدريس ، ولهم سبع صلوات منهن خمس توافق صلوات المسلمين فى أوقاتها ، والسادسة صلاة الضحى ، وهى موجودة أيضا عند المسلمين ، ولكنها عندهم مندوبة لا مفروضة ، والسابعة وقتها فى تمام الساعة السادسة من الليل ، ولهم صلاة أخرى على الميت بلا ركوع ولا سجود ، وهم يصومون شهراً فى السنة مثل المسلمين ، وصومهم من ربع الليل الأخير إلى غروب الشمس ، وهو فى هذا يقرب من صوم المسلمين أيضا .

فهل مثل هذه الاتفاقات الغريبة تكون عن طريق المصادفة ؟ كلا ثم كلا ، وإنما أخذ نبيكم صلاة الصابئة وصومهم ، ثم ادَّعى أنه أوحى إليه بهما .

محمد لتَعلَمْ أيها القس الفاضل أنه ليس من المعقول أن يأتى نبينا فى آخر الأنبياء ، ليصحح ما حُرِّف من شرائعهم ، ويكمل ما نقص منها ، ويأتى بشريعة كاملة تختم بها الشرائع ، ثم لا يكون هناك بعض توافق بين شريعته وهذه الشرائع فى الأصول الأولى لها ، من توحيد وصلاة وصوم وغيرها ، لأن هذه الأصول لا يمكن أن يحصل فيها تغيير أو تبديل ، بل يجب أن تكون الدعوة فيها واحدة ، ولهذا قال الله تعالى فى سورة الشورى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

فلا غرابة فى أن يكون فى الإسلام صلاة توافق أوقاتها بعض أوقات الصلاة فيما سبقه من الشرائع ، ولا غرابة فى أن يكون فيه صوم يشبه بعض المشابهة الصوم فى هذه الشرائع ، وهذا أقرب إلى أن يكون دليلا على أنه يوحى إليه به حقا ، لأنه لو كان يدعى الوحى ادعاء لتحرّن عن مثل هذا ، لأن الكاذب يجتهد ما أمكنه فى إخفاء كذبه ، ولا يأتى بما يمكن أن يطعن به فى أمره

وقد أتى بعد موسى أنبياء لا يحصون عدّا ، ولم يكن لهم شرائع جديدة بعثوا بها ، وإنما كانوا مقررين لشريعة التوراة التى أنزلت على موسى ، حتى إن عيسى عليه السلام أتى مقرّرا للتوراة أيضاً ، ولا تخالف شريعته شريعتها إلا فى أمور قليلة ، وقد قبلتم هذا فى أنبيائكم أيها القس الفاضل ، مع أن شريعتنا أدركت ما قبلها من الشرائع وقد غيرت وحرفت ، فأصلحت منها ما أصلحت ، وزادت فيها ما زادت ، حتى أتت شريعة كاملة متميزة عن غيرها من الشرائع ، ولا توافقها إلا فى الأصول التى لا يمكن أن تتغير بمرور الزمن ، فهل من الإنصاف أن تقبلوا ذلك من أنبيائكم وتنكروا هذا عليها ؟ وهى بحكم أنها آخر الشرائع لا يمكن أن تخلو منه .

القس : لقد ورد فى كتاب (أفِسْتَا) لزَرَادُشْت الفارسى[١] أن الإنسان له حياة تكليف هى الحياة الدنيا ، وحياة جزاء هى الحياة الأخرى، وله كتاب تحصى فيه أعماله ، فإذا مات حَلَّقت روحه فوق جسده ثلاثة أيام ، تنعم فيها أو تشقى ، ويقوم فيها أهله بالشعائر الدينية إيناسا لها ، ثم تحاسب بعد هذا فتمر على صراط ممدود على شَفِير جهنم ، فإذا كانت مؤمنة اتسع هذا الصراط لصاحبها حتى يصل إلى الجنة ،وإذا كانت كافرة رَقَّ هذا الصراط حتى يكون أرَقَّ من الشعرة ، فلا يمكن صاحبها أن يجتازه ، بل يسقط فى جهنم ، وإذا استوت حسنات شخص وسيئاته حجز فى الأعراف حتى يفصل فى أمره ، فيدخل النار أو الجنة .

وقد أخذ هذا نبيكم وجعله وحيا منزلا عليه ، مع أنه موجود فى ذلك الكتاب منذ مئات السنين .

محمد : شأن هذا أيها القس الفاضل شأن التوحيد والصلاة والصوم وغيرها من الأصول التى لا تتبدل فى سائر الشرائع

القس : هل تذهبون يا محمد إلى أن زَرَادُشْت كان نبيا؟

---

(١) اختلف فى تاريخ وجوده على أقوال كثيرة تتردد بين ستمائة سنة وستة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح .

محمد : لا يوجد عندنا أيها القس ما يمنع أن يكون زرادشت نبيا ، وقد قال تعالى فى سورة فاطر :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِير) .

القس : لقد ذكر زرادشت فى كتابه (أفستا) أن هناك إلهين : أحدهما للخير ، وثانيهما للشر . فكيف يكون مع هذا نبيا ؟

محمد : إله الشر فى هذا الكتاب هو إبليس، وقد يكون الاعتقاد فى ألوهيته من تحريف الفُرْس فى ديانة زرادشت

القس : إن بعض القصص الواردة فى القرآن مأخوذة من بعض الكتب الخرافية عند اليهود ، ومن بعض الكتب المرفوضة فى النصرانية ، مثل قصة قابيل وهابيل الواردة فى سورة المائدة :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي

مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)

فهذه القصة لم ترد فى التوراة بهذا التفصيل ، وإنما وردت فى الترجوم المسمى بيروشلمى وغيره من الكتب اليهودية الخرافية .

محمد : نحن لا يهمنا أن توجد القصص القرآنية فى توراتكم أو فى أناجيلكم التى تقبلونها أو فى غيرها ، وإنما يهمنا هذه القصص فى ذاتها ، وهناك قياس تقاس به القصص الصحيحة والخرافية ، فيجب أن يرجع إلى هذا القياس فى الحكم على القصص ، ونحن نقبل هذا الحكم عن طيب خاطر .

وقصص القرآن من موافقة هذا القياس بمكان ، ولا يضير

القرآن بعد هذا وجودها قبله فى أى كتاب من الكتب ، وهذا إلى أن القرآن يسوق قصصه للموعظة الحسنة ، فيكون المهم فيها ما تشتمل عليه من مواعظ ، وما ترمى اليه من غايات

ثم قال القس :

إن عندنا كتابا يسمى (العقائد الوثنية فى الديانة المسيحية) فأتونا بمثل هذا فى الإسلام ، فإنه لا يضيره أن توجد فيه عقيدة صحيحة وجدت فى غيره ، وإنما يضيره أن يوجد فيه من العقائد الوثنية مثل ما وجد فى المسيحية

وهنا رأى القس أنه ضرب آخر سهم فى كنانته فطاش كما طاشت سهامه قبله ، فترك الأمر لمحمد فى المناظرة التاسعة عشرة .

المناظرة التاسعة عشرة

ابتدأ محمد هذه المناظرة، لأن القس (ز) أتى بآخر ماعنده فى المناظرة الثامنة عشرة ، وقد مكث كثيراً يقف من محمد موقف المعترض ، ويقف محمد منه موقف المجيب ، فتغير الموقف فى هذه المناظرة ، وابتدأ محمد الكلام فيها فقال :

محمد : قد تبين لك الآن أيها القس الفاضل : لماذا أنا مسلم ؟ وقد شرحت لك فى هذا أصول الاسلام وفروعه ، فلم أجد فى أصل أو فرع منها ما يحتاج إلى تحوير يخرج به عن قاعدته الأولى، أو يخرج بالاسلام عن طريقه الأول ، وإنما هى أصول وفروع ثابتة كما أنزلت ، لاتغيير فيها ولا تبديل ، ينادى بها المسلم فى كل عصر وجيل ، ولا يجد فيها ما يضطره إلى أن يتراجع بها إلى الوراء ، أو ينحرف بها ذات اليمين ، وذات الشمال .

القس : لا حاجة بنـــا إلى هذا الكلام يا محمد ، فماذا بعد هذا ؟

محمد : لقد أردت أن أسألك فى هذه المناظرة : لماذا أنت مسيحى ؟ حتى يعرف الناس الموازنة بين جواب هذين السؤالين للمسلم والمسيحى :

١) لماذا أنا مسلم ؟

٢) لماذا أنا مسيحى ؟

القس : عندنا كتاب يسمى (لماذا أنا مسيحى) ألفه الدكتور فرانك كراين ، ونقله الأرشمندريت أنطونيوس بشير إلى العربية ، فيمكنك يا محمد أن تطلع عليه ، وتعرف منه ما تريد من جواب هذا السؤال — لماذا أنا مسيحى ؟

محمد : لقد اطلعت على هذا الكتاب ، وسأجعله موضوع هذه المناظرة ، وسيكون ما فيه حجة عليكم بعد أن اعترفت لى به

لقد قال مؤلف هذا الكتاب فى ص — ٢١ — منه ، تحت عنوان (لماذا أنا مسيحى) :

إن الخلافات المستحكمة على مر الأجيال بين الطوائف المسيحية لا أثر لها فى ذهنى البتة ، فإذا سألتنى هل أنا مؤمن بالتثليث أو موحد ، فكأنما تسألنى هل أنا بابوى أو ضد البابا ؟

ثم يقول :

إننى أود أن أشرح الأسباب التى تجعلنى أسمى نفسى مسيحياً ، وسيساعد هذا كثيراً من المسيحيين على فهم مسيحيتهم ، لأن هناك كثيراً ممن يسمون أنفسهم مسيحيين يعملون خلاف ماتطلبه المسيحية منهم، وهناك كثير يعملون بالمسيحية وإن لم يسموا أنفسهم مسيحيين .

ثم ختم هذا بقوله :

فإذا سألتنى هل أنا مؤمن بالتثليث أو موحد؟ كاثوليكى أو بروتستنتى ؟ مثوديستى أو محمدانى ؟ فكأنما تسألنى هل أنا بابوى أو ضد البابا .

وقد جاء مثل هذا فى ص ٢٣٧ :

وأما موضوع الثالوث ، فسواء أكان الله واحدا فى ثلاثة أقانيم (الأب والابن وروح القدس) أم كان إلهاً واحداً بغير أقانيم ، فإن ذلك موضوع لا أستطيع أن أفهمه ، وهو أسمى من أن يبلغ فكرى إلى إدراكه ، وهو لا يؤثر فى حياتى المسيحية مادمت مؤمناً بتأثير هذه القوة الإلهية العظيمة فى جميع مظاهر حياتى، وأما ما يراه الناس من أن الله يغضب علىَّ إذا لم أومن بموضوع لا أفهمه فهو فى عقيدتى وهمٌ لا حقيقة له .

وجاء مثله أيضا فى ص ٢٥٦ :

إننى واثق كل الثقة أن كثيراً من قراء هذا الكتاب سيقولون إن مؤلفه لايصح له ألبتة أن ينتمى إلى دين من الأديان ، أوأن يدعى أنه مسيحى من أبناء الإيمان ، وعندى أن أمثال هؤلاء القراء محقون فى قولهم إلى حد محدود ، فإننى فى الحقيقة كافر فى نظر أكثر المذاهب والطوائف التى يخيل إليها أنها مسيحية ، لأنى أعتقد أن أكثر مبادئها وثنية صرفة

وكذلك جاء فى ص ٣٩ تحت عنوان (إن إيمانى بالمسيح غير مبنى على شهاداته الرسمية) :

إننى أومن بيسوع وأتخذه معلماً لى ، وأسمى نفسى تلميذاً له ، ولكن القوة التى تدفعنى إلى هذا إنما هى مستمدة من أقواله وأفعاله المدونة على صفحات الإنجيل ، فأنا لا أومن بيسوع لأنه ابن الله فحسب ، لأن فريقاً من الناس يقول إنه كان إلها حقيقياً ، وفريق آخر يقول إنه لم يكن إلا رجلا عظيما ، وإنما أعتقد أنه معلمى الوحيد ، ولا فرق عندى بين أن يكون إلهاً هبط من السماء وقضى بضع سنين على الأرض ، وأن يكون إماما من كبار الحكماء ، وقد عاش عمره كما يعيش جميع الأحياء ، ففى الحالتين أرى أن ما قاله وما عمله كاف لتعليمى وسعادتى .

فماهذا أيها القس الفاضل ؟ أليس هو فى الأقل عجزاً عن إثبات عقيدة التثليث ؟ أليس هو فى الأكثر تشكيكا فيها وكفراً بها ؟

وما هى عقيدة التثليث ؟ أليست أولى عقائد نصرانيتكم ؟ أليست أهم شىء فيها ؟

أجبنى أيها القس الفاضل .

القس : نعم هذا شك أو كفر بعقيدة التثليث ، وليس هو من نصرانيتنا فى شىء .

محمد : لقد جاءكم أيضا فى ص١٥٩ — من هذا الكتاب تحت عنوان (الوهم فى السلامة) :

أكثر الناس يعتقدون أن المسيحية إنما جاءت إلى العالم لكى تؤكد لنا خلاصنا من خطايانا ، أو بعبارة اخرى — لكى تحافظ على سلامتنا .

ثم قال بعد هذا :

إن السعادة الحقيقية فى الحياة إنما هى السعادة التى تنالها فى عملك يوما فيوما ، وأما السعادة التى تحلم أنك ستنالها فى المستقبل البعيد فهى أشبه بالسحابة التى تبدو لك جميلة بهية عند غروب الشمس ، لأنها تكون بعيدة عنك ، فإذا بلغت اليها ظهر لك أنها ليست سوى ضبابة مظلمة .

إلى أن قال : وفى الدين نفسه قد أسأنا فهم الخلاص . ولم نعرف كيف نستثمره ، فقد خُيِّلَ إلينا أن بركة الحياة إنما تتم انا بالانفلات منها إلى حياة غيرها بعد القبر، ولكن بركة الحياة يجب أن تكون فيها، والخلاص لا يصح أن يكون قوة تنقذنا من العالَمِ ، بل يجب أن يكون قوة ترفع نفوسنا إلى أسمى درجات الكمال ، حتى نحيا حياة تفيض غبطة وبركة .

إلى أن قال : وشَدَّ ما يخطىء الذين يستعملون كلمة (خلاص) فى معنى الإنقاذ من عذاب نار الجحيم بعد الموت، لأن هذه العقيدة ليست من المسيحية فى شىء ، بل هى عقيدة وثنية قديمة مأخوذة عن خرافات اليونان والمصريين وعقائدهم السِّرِّيَّة فى العالَمِ الثانى .

فما هذا أيها القس الفاضل ؟ أليس كفراً صريحاً بعقيدة الخلاص ؟ وماهى عقيدة الخلاص ؟ أليست من أهم عقائد نصرانيتكم ؟ أليس إنكارها إنكار العقيدة الصلب والفداء أيضاً ؟ وماهذا التشكيك فى العالم الثانى بعد الموت ؟ وهل هو حقيقة عقيدة وثنية مأخوذة عن خرافات اليونان والمصريين ؟

أجبنى أيها القس الفاضل .

القس : نعم هذا كفر بعقيدة الخلاص ، وليس هو من نصرانيتنا فى شىء .

محمد : وقد جاء أيضاً فى ص — ١٨٩ — من هذا الكتاب فى ختام فصل عنوانه (الوهم فى تقسيم الناس إلى طبقات) :

ورُبَّ قائل يقول إن المسيحية قد كانت فى جميع أطوارها خيبة وفشلا لأصحابها ، فلمثل هذا نقول مع المستر تشاسترتون : إن المسيحية لم توضع مبادئها فى بوتقة الاختبار بعد ، ليجرأ أحد على الحكم عليها ، ولكن إذا كان العالم بأسره أو أى قسم من أقسامه يجرب تعاليم يسوع المسيح ومبادئه ، فحينئذ يحق لهم أن يحكموا عليها من نتائجها . ولكن بادمنا نحصر مسيحيتنا فى إنشاء الترانيم ، وتلاوة الصلوات ، وتطبيق طقوسنا وتقاليدنا على طقوس الوثنيين وتقاليدهم فى عبادتهم ، فإنه لا يحق لنا ألبتة أن نحكم على المبادىء المسيحية .

ثم يقول فى هذا المعنى تحت عنوان (كيف أفهم الدين) فى ص — ٢٠١ — :

إن يسوع جاء إلى العالم لكى يعلم الناس كيف يعيشون فيه ، ولم يأت ليؤسس ديانة جديدة تنسب اليه .

إلى أن قال : فإذا تكلمت عن ديانة يسوع فإنى أتكلم

بشك وريبة ، لأنى لا أثق فى أن يسوع كان معلم دين وطقوس، فإن كلمة دين لم تستعمل إلا مرة واحدة فى العهد الجديد، وإننا نعرف بقدر استطاعتنا أن يسوع لم يستعمل هذه الكلمة قط ، ولهذا يخيل إلىّ أنه كان خبيرا عارفاً بأسرار الحياة أكثر مما كان عالماً من علماء الدين ، فقد بلغ أسمى درجات المعرفة ، وأدرك كُنْه الشرائع العظيمة التى تدبر سبل الحياة فى هذا الوجود، ولكنى أشك كثيراً فى أنه أراد أن يؤسس ديانة جديدة ، كما أشك فى أنه أراد أن يؤلف حزباً أو طائفة تنسب اليه .

فهل هناك أيها القس الفاضل أشد من هذا إنكارا للنصرانية ؟ وهل هناك أشد من هذا إنكارا لما جاءت به من طقوس وعبادات ؟ وهل هناك أشد من هذا إنكارا لأنها دين من الأديان ؟

فماذا بقى من المسيحية بعد هذا يصح أن يكون جواباً لهذا السؤال :

لماذا أنا مسيحى ؟

الحق أيها القس الفاضل أن مافى هذا الكتاب يناقض

اسمه كل المناقضة ، وأن الأولى به هذا الاسم :

لماذا أنا غير مسيحي ؟

فلم يقل القس (ز) شيئا، وطلب من محمد أن يكتفي بهذا القدر في هذه المناظرة ، ثم اتفقا على أن يختما هذه المناظرات بالمناظرة الآتية ، وهي المناظرة العشرون ، وقد وعد القس (ز) محمدا بأنه سيبوح له فيها بسر عظيم .

وهو سر سيبين الغاية الخفية التي يسعى إليها المبشرون المسيحيون ، ويبين كيف تنفق الحكومات الأوربية والأمريكية ما تنفقه من الأموال عليهم ، مع أنها حكومات مدنية لا يعنيها أمر الدين .

المناظرة العشرون

أراد القس (ز) أن تكون هذه المناظرة آخر المناظرات، لأنه وجد من محمد مناظرا قوى الدليل، ناهض الحجة، حاضر البديهة: وقد ابتدأ فيها المناظرة بقال:

القس: إنا إذا سلمنا لكم صحة دينكم فإنه لا يلزمنا أن نترك ديننا إليه، لأن قرآنكم ورد فيه مايشهد ببقاء ديننا إلى يوم القيامة، وهذا فى قوله فى سورة آل عمران:

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ، وَيُعَلِّمُهُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ، وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ، إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ

الْمَاكِرِينَ ، إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) .

فلا شك فى أننا أتباع عيسى . وقد شهد القرآن بأنه **سيجعلنا فوق الذين كفروا به إلى يوم القيامة ، ثم يوفينا على** الإيمان به أجورنا فى الآخرة .

فليكن لكم أيها الفتى دينكم ولنا ديننا .

محمد : هذا يصح لكم أيها القس الفاضل لو كان القرآن يريد بقوله (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ) أصحاب هذه النصرانية المحرفة ، وحاشا له أن يريدهم منه ، وإنما الذين اتبعوه هم المسلمون أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، أما اليهود فقد كذبوا به ، وأما النصارى فقد كذبوا عليه وحرفوا دينه ،

والمراد أن الذين اتبعوه فوق غيرهم بقوة الحجة فى كل الأزمان والأحوال ، وبالغلبة والسلطان عند ظهورهم وتمسكهم بدينهم ، وقد صح حمل هـــذا على المسلمين لأنهم اتبعوه فى أصل الاسلام ، وإن خالفوه فى فروعه ، ويجوز أن يضاف النصارى قبل الاسلام إلى المسلمين فى هذه التبعية ، لأن النصارى اتبعوه فى الجملة إلى ظهور الاسلام ، فلما جاء الاسلام وبين لهم ما حرفوه فى دينه زال عنهم هذا الوصف ، وانتقل إلى المسلمين لأنهم صاروا أولى به منهم ، كما أنهم أولى بسائر الأنبياء من غيرهم ، وقد نص الله تعالى على هذا المعنى فى سورة البقرة ، وصرح بأنا أولى بعيسى والأنبياء من قبله ، فقال فى هذه السورة :

(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ

لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ، قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

أَعمالُكُمْ ونَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ، أَم تَقُولونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْباطَ كانُوا هُودًا أَوْ نَصارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ ولَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ولا تُسْأَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ) .

فالمسلمون هم الذين يؤمنون حقيقة بما أنزل على أولئك الأنبياء السابقين ، أما هؤلاء اليهود والنصارى فليسوا منهم ولا هم منهم فى شىء :

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ ولَكُمْ ما كَسَبْتُمْ) .

وإذا كان هذا شأن المسلمين فإنهم يكونون الذين ورد فيهم قوله تعالى :

(وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ)

ولا يكون أتباعه هؤلاء النصارى الذين انحرفوا عما جاء به إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ، وصاروا أقرب إلى الوثنية منهم إلى الحنيفية التى هى أصل الإسلام واليهودية والنصرانية .

القس : إذا كنا معشر النصارى قد انحرفنا عن ديننا فأنتم معشر المسلمين قد انحرفتم عن دينكم أيضا ، وأنتم تعترفون بهذا ولا تنكرونه ، وتنسبون اليه ماحاق بكم فى هذه الأيام من المصائب والأهوال ، فلا فرق فى هذا بيننا وبينكم ، ولا حق لكم فى الفخر بدين ضيعتموه ، واتبعتم فيه سُنَنَ من كان قبلكم ، ممن تعيبون عليهم تحريفهم لدينهم ، وتدعون أن دينكم أتى لإصلاح ذلك التحريف الذى وقع منهم

محمد : أنا لا أنكر أيها القس الفاضل أنا قد انحرفنا عن ديننا ، وأن هذا سبب هذه المصائب والأهوال التى تنزل بنا ، ولكن انحرافنا عن ديننا لايذكر مع تحريفكم لدينكم ، فإن تحريفكم وصل إلى أصول عقائدكم فأفسدها ، وإلى كتبكم المنزلة فأضاع بعضها وغيَّر بعضها ، أما نحن فأصول ديننا باقية على حالها ، وكتابنا قد حفظه الله من التغيير والتبديل ، وتعهد بحفظه لنا ، فقال فى سورة الحجر :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

ثم إنا مع هذا نعمل على إصلاح فسادنا ، ونأخذ فى تطهير ديننا من البدع التى حشرت فيه ، وهى مهمة سهلة إن شاء الله تعالى ، أما أنتم فجامدون على تحريفكم ، لأن إصلاحه يقضى على دينكم من أساسه ، ويؤدى بكم إلى الدخول فى ديننا ، وأنتم لا تريدون ذلك .

القس : إنك إذن أيها الفتى فى حاجة إلى العمل فى إصلاح دينك ، فيحسن بك أن تأخذ نفسك بالعمل فيه ، وليبارك الله فيك لأهلك .

ثم أعلن القس (ز) انتهاء المناظرة ، وأخذ محمدا إلى حجرته بتلك الدار ، وأفضى إليه بما أراد أن يخفيه عن غيره ، فقال له :

قد بلغت منى يا محمد ما بلغت ، وليتنى لم أجتمع بك ، ولم أفتح باب الجدال معك ، فسأحيا بعد هذا منغص العيش ، مشتت الفكر ، وإنى يا بُنَىَّ رئيس هؤلاء المبشرين المسيحيين بديارهم ، ولنا غايات سياسية أخرى نعمل لها ، وهذه الغايات الدينية ليست عندنا إلا وسيلة لهذه الغايات ،

ويكفيك هذا مني يا محمد ، فاذهب يا بني إلى عملك في مدرستك ، ودعنا نعمل لتلك الغايات الخفية .

فتركه محمد ومضى الى أبيه فقص عليه ما أسر به القس (ز) اليه ، فعجب لإيثار هؤلاء الناس مصالحهم الدنيوية على مصالحهم الأخروية ، وذكر له قوله تعالى في سلفهم :

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

صدق الله العظيم

٢٣ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ هـ — ١٣ من يونية سنة ١٩٣٦ م

obeikandl.com

مباحث الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	خطبة الكتاب
٥	المناظرة الله

(٦) التعريف بالمتناظرين (٨) ابتداء المناظرة (٩) مدح النصارى فى سورة المائدة (١٠) كيف كان النصارى أقرب مودة للمسلمين من اليهود (١١) كيف مدح القرآن النصارى وذمهم (١٢) بحث أصول الدين قبل فروعه (١٣) إسلام القسيسين الممدوحين فى سورة المائدة (١٤) أدب الجدال فى القرآن (١٥) قوة أصول الاسلام (١٦) الاتفاق على المناظرات

١٧	المناظرة الاولى

(١٨) كيف يعز المسلمون الآن بدينهم على ضعفهم (١٩) أصول الاسلام: التوحيد (٢٠) تأثر اليهودية والنصرانية بالوثنية (٢١) موقف المسلم والنصرانى مع الملحد (٢٢) موقف المسلم مع النصرانى (٢٣) اتفاق المسلمين واليهود فى التوحيد (٢٤) مخالفة بنوة عزير لبنوة المسيح (٢٥) سوء مكافأة النصارى لجميل الاسلام

٢٦	المناظرة الثانية

(٢٦) أصول الاسلام : التصديق بجميع الرسل (٢٧) تسوية الاسلام بين الشعوب (٢٨) تفاضل الشعوب فى الاسلام بالعمل (٢٩) الاسلام أصلح الاديان لاتفاق الشعوب (٣٠) اليهودية والنصرانية لاتصلحان لاتفاق الشعوب (٣١) الاسلام لاينكر أن تكون بنوة المسيح بنوة محبة (٣٢) لاشطط فى الايمان برسالة محمد (٣٣) إبطال عقيدة الصلب (٣٤) عقيدة الصلب من الجهة التاريخية

obeikandl.com

الصفحة الموضوع

٣٦ المناظرة الثالثة

(٣٦) أصول الاسلام : جلب المصلحة ودفع المفسدة (٣٨) جلب المصلحة ودفع المفسدة فى اليهودية والنصرانية .

٤٠ المناظرة الرابعة

(٤٠) أصول الاسلام : مراعاة الزمان والمكان (٤١) مراعاة الزمان والمكان فى اليهودية والنصرانية (٤٢) جمود اليهودية والنصرانية (٤٣) أصول الاسلام : التوسط بين الافراط والتفريط (٤٤) موافقة الاسلام للحكمة العملية (٤٥) توسط الاسلام فى الزهد (٤٦) توسط الاسلام فى شأن المال والمرأة (٤٧) توسط الاسلام فى ميراث المرأة (٤٨) عظمة الفقه الاسلامى

٤٦ المناظرة الخامسة

(٤٩) تعدد الزوجات فى الاسلام (٥٠) إباحة التعدد يتغير بحسب الزمان والمكان (٥١) شدة قيود تعدد الزوجات (٥٢) كراهة التعدد عند عدم الحاجة إليه (٥٣) تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم (٥٤) السبب فى عدم اقتصاره على أربع منهن

٥٦ المناظرة السادسة

(٥٦) الطلاق فى الاسلام (٥٧) تشريع الطلاق للمصلحة لا للمفسدة (٥٨) معالجة فساد المرأة قبل الطلاق (٥٩) تمكين الزوجين من تدارك أمرهما بتشريع الثلاث (٦٠) أخذ الحكومات النصرانية بالطلاق

الصفحة الموضوع

٦١ المناظرة السابعة

(٦١) الرق فى الاسلام (٦٢) الحكومات الحديثة تبطل رق الافراد تسترق الشعوب (٦٣) الرق ضرورة من ضرورات الحرب (٦٤) كراهة الاسلام للرق (٦٥) الاسلام يوافق على إلغاء الرق

٦٦ المناظرة الثامنة

(٦٦) الحرب فى الاسلام (٦٧) النبوة قد تجامع الملك (٦٨) دعوة الاسلام إلى السلام (٦٩) القتال فى الاسلام لحمايته للدعوة إليه (٧٠) حق كل دعوة فى حماية نفسها (٧١) الفتح فى الاسلام للاصلاح لا للحكم (٧٢) الفتح فى الاسلام واليهودية (٧٣) حق الصالحين فى عمارة الارض

٧٤ المناظرة التاسعة

(٧٤) معجزة القرآن (٧٧) لماذا خص الاسلام بمعجزة القرآن (٧٩) قوة الايمان بمعجزة القرآن

٨١ المناظرة العاشرة

(٨١) نسب مريم فى القرآن (٨٢) زعم غلط القرآن فى نسب مريم (٨٣) الجواب عن زعم غلط القرآن فى نسب مريم (٨٤) قاعدة التوفيق بين الكتب السماوية (٨٥) تجوين نسبة مريم إلى عمران أبى موسى (٨٦) أخوة مريم لهارون لأنها كانت من الأحبار (٨٧) اختصاص أبناء هارون بكهانة اليهود (٨٨) يا أخت هارون مثل يا أخا قريش (٨٩) اختلاف الأناجيل فى أب مريم

٩٠ المناظرة الحادية عشرة

(٩٠) قبلة الاسلام (٩١) القبلة ليست بذات شأن فى الدين (٩٢) الكعبة أول بيت وضع لعبادة الله (٩٣) إثبات بناء إبراهيم واسماعيل للكعبة (٩٥) سبب العدول عن الكعبة والعود إليها

الصفحة الموضوع

٩٨ المناظرة الثانية عشرة

(٩٨) الدولة فى الاسلام (٩٩) غاية الاسلام التقريب بين الشعوب لا توحيدها (١٠١) جواز تعدد الدول فى الاسلام (١٠٣) الدولة المثالية فى الاسلام (١٠٤) حكم المسلمين لاينحصر فى العرب

١٠٥ المناظرة الثالثة عشرة

(١٠٥) العلم والفلسفة فى الاسلام (١٠٦) موقف الدين من العلم والفلسفة (١٠٧) موقف الاسلام من العلم والفلسفة (١٠٨) تنويه القرآن بالحكمة والحكماء (١٠٩) جمع بعض الأنبياء بين الحكمة والنبوة (١١١) الحكمة ضالة المؤمن (١١٢) موقف النصرانية من العلم والفلسفة (١١٤) موقف رجال الدين فى الاسلام والنصرانية من العلم والفلسفة (١١٥) أمم أوربا وأمريكا لاتحسب الآن على النصرانية

١١٦ المناظرة السابعة عشرة

(١١٦) المعاد الجسمانى فى الاسلام (١١٧) أنهار الجنة وحورها ومجالس الشراب فيها (١١٨) المعاد الجسمانى مذهب جمهور المسلمين لاجميعهم (١١٩) النعيم الروحى أرقى عند المسلمين من الجسمانى (١٢٠) النفوس تتفاوت فى الآخرة تفاوتها فى الدنيا (١٢١) خمر الجنة مجازى لاحقيقى (١٢٢) إباحة النصرانية للخمر (١٢٣) نص إنجيل متى على وجود خمر فى الجنة

١٢٥ المناظرة الخامسة عشرة

(١٢٥) قصة زينب بنت جحش (١٢٦) لايقبل من الأحاديث إلا ماوافق القرآن (١٢٧) زينب تأبى الزواج بزيد (١٢٨) حكم الله بزواج زينب لزيد (١٢٩) زواج زينب بزيد لابطال التبنى (١٣٠) علم النبى بأنه يراد لزينب فى خطبتها لزيد (١٣١) علم النبى بأنه يراد لزينب يبطل أنه تزوجها لوقوعها فى قلبه (١٣٢) النصارى آخر من يطعن على النبى بقصة زينب (١٣٣) النصارى ينسبون إلى داود أنه أحب امرأة أوريا

الصفحة الموضوع

١٣٤ المناظرة السادسة عشرة

(١٣٤) هجر النبي نساءه شهرا (١٣٥) سبب هجر النبي نساءه (١٣٦) اختلاف الروايات في هجر النبي نساءه (١٣٧) لاشيء في تحريم النبي العسل على نفسه (١٣٨) جواز ارتكاب النبي خلاف الأولى (١٣٩) النصارى ينسبون الكبائر إلى الأنبياء (١٤٠) السبب الصحيح لهجر النبي نساءه (١٤١) نساء النبي يتطلعن إلى زينة الدنيا (١٤٢) هجر النبي نساءه لتطلعهن إلى زينة الدنيا

١٤٦ المناظرة السابعة عشرة

(١٤٦) الاسلام والخداع (١٤٧) نسبة الخداع والمكر إلى الله (١٤٨) تجويز الخداع في الحرب (١٤٩) تحريم الخداع في السلم (١٥٠) تسامح الاسلام مع المنافقين ليس من الخداع (١٥١) اغتيال العدو بالخداع من خدع الحرب (١٥٣) المحارب لايحاكم على التحريض على العدو (١٥٤) السبب في اغتيال كعب بن الأشرف

١٥٦ المناظرة الثامنة عشرة

(١٥٦) كتاب تنوير الأفهام في مصادر الاسلام (١٥٧) إبطال زعم أخذ الاسلام من عادات العرب (١٥٨) إبطال زعم أخذ النبي من حنفاء العرب (١٥٩) الفرق بين دعوة الحنفاء ودعوة الاسلام (١٦١) إبطال زعم أخذ النبي من الصابئين (١٦٢) اتفاق الأصول الأولى في الديانات (١٦٣) قد يبعث الرسل بتقرير شرائع قبلهم (١٦٤) إبطال زعم أخذ النبي من زرادشت (١٦٥) تجويز نبوة زرادشت (١٦٦) إبطال زعم أخذ القرآن من الكتب الخرافية

obeikandl.com

الصفحة	الموضوع
١٦٨	**المناظرة التاسعة عشرة**
	(١٦٨) كتاب لماذا أنا مسيحى (١٦٩) شك صاحب الكتاب فى التثليث (١٧١) اعتراف صاحب الكتاب بوجود مبادىء وثنية فى المسيحية (١٧٢) شك صاحب الكتاب فى عقيدة الخلاص (١٧٤) رأى صاحب الكتاب فى أن المسيح لم يؤسس ديانة (١٧٥) الأولى أن يسمى الكتاب لماذا أنا غير مسيحى
١٧٧	**المناظرة العشرون**
	(١٧٧) أتباع المسيح بعد الاسلام (١٧٩) المسلمون أتباع المسيح لا النصارى واليهود (١٨٠) المسلمون أولى بسائر الأنبياء من غيرهم (١٨٣) الفرق بين انحراف المسلمين والنصارى عن دينهم (١٨٤) المبشرون المسيحيون يعملون للسياسة لا للدين (١٨٥) انتهاء المناظرة

تصويب

ص	س	الصواب
٢٩	١٧	فى التصديق
١٠١	١٤	دولة
١٠٨	١٦	حبّة
١١٠	٩	ويزكيهم (محذوفة)
١٥٦	٤	استعان
١٧١	١٨	الأحياء
١٧٢	٩	جاء

openkandil.com